

صاحب المجلة ومديرها  
ورئيس تحريرها المسئول  
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة  
٣٠ في مصر والسودان  
٥٠ في الممالك الأخرى  
١ ثمن العدد الواحد

الإدارة  
شارع عبد العزيز رقم ٣٦  
العتبة الحضرية - القاهرة  
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

# الحرورية

مجلة أسبوعية للفكر والتأنيخ

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

العدد الثامن ٥ ربيع الأول سنة ١٣٥٦ - ١٥ مايو سنة ١٩٣٧ السنة الأولى

من أحسن القصص



## فهرس العدد

| صفحة |                                                                                |
|------|--------------------------------------------------------------------------------|
| ٤٥٨  | الخبز المنعون ... لحي دي موباسان ... بقلم أحمد حسن الزيات ...                  |
| ٤٦٢  | ليلى ... أفصوصة مصرية ... بقلم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني ...          |
| ٤٧٠  | يوميات نائب في الأرياف ... صور مصرية ... بقلم الأستاذ توفيق الحكيم ...         |
| ٤٧٦  | الفریق ... صورة ريفية ... بقلم الأستاذ محمود الحفيف ...                        |
| ٤٨٤  | الشيطانة ... لبرنار نابون ... بقلم الدكتور محمد الرافعي ...                    |
| ٤٩١  | السيدة نكولتشي ... للكاتب النموي آدم مولر ... بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب ... |
| ٤٩٧  | المراقب ... لقصصى الروسى تشيراسكوف ... بقلم نظمي خليل ...                      |
| ٥٠٥  | اعترافات فتى العصر ... لأنثريدى موسيه ... بقلم الأستاذ فليكس فارس ...          |
| ٥١٢  | الأوذيسة ... لهوميروس ... بقلم الأستاذ دريني خشبة ...                          |
| ٥١٦  | سر أبي الهول ... لموريس رستات ... بقلم الأستاذ خليل هندواوى ...                |



- ١ -

كان للسيد (تاي) ثلاث بنات : أنسا ، وهي البكر ولم يعد لها ذكر في الأسرة ؛ وروز ، وهي طريقتها في العمر ولم تتجاوز الثامنة عشرة ؛ ثم كاير ، وهي الصغرى ولا تزال غضة الحدانة في ربيعها الخامس عشر . وقد أشبل الأب عليهن بعد وفاة أمهن فلم يتزوج

كان السيد تاي مدير الآلات في مصنع من مصانع الأزرار ؛ وهو رجل شهم الفؤاد ، مرعى الجانب ، رضى الخلق ، عزوف النفس ، مثال للعامل الصالح ، وقد اتخذ مسكنه في شارع (انجولم) بمدينة الهافر

ولما هتكت ابنته أنسا رداء الحشمة ، وأطلقت لنفسها عنان هواها ، أخذها المقيم القمعد ، وتوعد المغوى الأنيم بالقتل ؛ والمغوى غلام غريب برأس قسما من الأقسام في متجر كبير من متاجر المدينة . ثم وقع في سمعه من بعض الأفواه أن ابنته استقامت على الطريق الأمثل ، وأحسن القيام على ما جمعت من المال ، واطمأنت إلى العيش الطليق في ظلال السيد دبوا ، وهو قاض فاني الشيباب على السن من قضاة المحكمة التجارية ؛ فقررت فورة الوالد وسكت

عنه الغضب . ثم بلغ به الرضا أن اعتراه القلق على ما صنعت بابنته الأحداث ، فأقبل يسأل عن بيتها أخلاءها القدماء الذين لا يسوها ، فلما أكدوا له أنها تنبسط على النعيم بين الأثاث والرياش ، وأن لديها كومة من الأواني الملونة منضودة على رؤوس الدافئ ، ونخبة من المناظر الجميلة مرسومة على وجوه الحوائط ، فضلا عن الساعات المذهبة المعلقة في كل مجلس ، والطنافس الفاخرة البسوط في كل ممشى ، جرت على شفتيه بسمة خفيفة ، لأنه منذ ثلاثين عاماً يكدح فلم يجمع غير خمسة آلاف فرنك حقيرة ؛ فالبنية على كل حال ليست غبية !

وفي ذات صباح جاء فيليب بن توشار صاحب مصنع البراميل يخطب إليه ابنته الثانية روز ؛ فدق فؤاد الأب دقات الفرح ، لأن آل توشار من ذوى الثراء والمكانة ، فهو قطعاً سعيد الجد في بناته . ضرب الأب موعداً ليوم العرس ، وعقد النية على أن يجمل الاحتفال به نغماً ، واختار أن يقام بسنت أدربس في مطعم الأم (جوزا) . ذلك يقتضى زيادة السكفة والنفقة ، وإسكن لابأس ! إن المرة الواحدة لا تصير عادة !

وبينما كان الشيخ وابنتاه يتهيأون ذات يوم

فأذنت لهما أننا راضية مفتبطة . وجعلوا أجل الزواج  
يوم الثلاثاء الأخير من هذا الشهر

— ٢ —

أخذ موكب الزفاف سمته بعد المواضعات المدنية  
في دار العمدة ، والطقوس الدينية في الكنيسة ، إلى  
دار أننا . وكان آل تاي قد دعوا من أصدقائهم العمدة  
لاموندوا ، والعم سووثنين وهو شيخ متفلسف  
متكاف بهم بالقيود ويحتفل للنظام . وقد انتخبوه  
مراقصا لأننا ، وانما قرنوا أحدهما بالآخر لأنهما أبرز  
من بالحفل شخصية وأرفع مكانة . ولما بلغ الركب منزل  
(أننا) تركت قرينها وتقدمت الموكب قائلة : « سأهديكم  
الطريق » ثم صعدت السلم عجلى وتركزت موكب  
المدعويين ينقل خطاه في وناء وبطاء . ثم فتحت  
الفتاة الباب وأفسحت الطريق للمدعويين فدخلوا  
مشدوهين مأخوذين بجول عبوتهم في الأثاث الفخم ،  
وتدورهم ومهم في البيت الأنيق . وكانت قاعة  
الطعام لا تتسع للمدعويين فددت المائدة في البهو  
ونظمت فوقها أداة الطعام وآنيته ، وصفت عليها  
دوارق الصهباء فوق عاليا من الشيباك ضوء من  
الشمس لئلا تضارها وشمشع سناها

دخل النساء غرفة النوم يخلمن ما عليهن من  
قبمات وشيلان ؛ ووقف الأب توشار على العتبة  
يحتلس النظر الخبيث إلى السرير الواطيء المريض  
ويشير إلى الرجال بيديه إشارات المجنون والدعابة .  
وسار الأب (تاي) الوقور وقبعته في يده ينتقل  
من غرفة إلى أخرى وهو ينظر إلى أثاث ابنته  
الفخم نظر الزهو الفخور ، ويلحظ قطع الرياش  
لحظ الفاحص المقدر وهو عشي مشية قيم الكنيسة  
في أسهاء الكنيسة . وكانت (أننا) لاتفتأ ذاهبة آبية

للغداء ، ففتح الباب فجأة ودخلت أننا عليها أنخر  
الحلل ، وفي أصابعها أنفاس الخواتم ، وعلى رأسها  
قبعة مرساة ؛ وكانت في هذه الزينة عذبة الروح  
خفيفة الظل ، فوقمت على صدر أبيها وأخذت  
بمقته فلم تدع له وقتا ليقول : (أف) ، ثم ألقت  
بنفسها باكية في أحضان أختها ، ثم غيضت دمعها  
ومسحت ماسال منه وجلست إلى المائدة  
وطلبت طبقاً لتشرب الحساء مع الأسرة . وفي  
هذه المرة تحن الأب (تاي) وتمطف ، حتى باكي  
ابنته رقة ورحمة ؛ ثم قال مرة بعد مرة : « حسن  
يا ابنتي ! هذا حسن ! » وحينئذ أخذت أننا تذكر  
ما جاءت لأجله : ذكرت أنها لا تريد أن يقام عرس  
روز في سنت أدريس ، وإنما تريد أن يقام عندها  
وتتحمل هي أكلاف الزفاف فلا تكلف أباهما  
شيئاً . لقد أمضيت النية على هذا الأمر ، وجمعت  
الأهبة لكل شيء ، وقدمت النفقة عن كل عمل .  
فقال الأب مرة بعد مرة : « حسن يا ابنتي ! هذا  
حسن ! » ولكن شيئاً من الشك تخالج في صدره  
فقال : ليت شمعى أيقبل آل توشار هذا  
الاقتراح ؟ فأجاب روز وقد بغتها هذا السؤال :  
ولم لا يقبلون ؟ أترك لي الأمر ، وسأذهب إلى فيليب  
فأكله فيه . وفي اليوم نفسه ذهبت روز إلى خاطبها  
فيليب وحدثته في اقتراح أننا فارتاح له ، وعرضه  
على أبويه فافتر في وجهيهما السرور ظمعا في غداء  
هنئ . مري . لا يتكلفان له كافة ؛ ثم قال : « لا ريب  
أن الحفل سيكون هناك أنخم ، فان السيد  
دبوا يتقلب في الرخاء ويتمرغ على الذهب » ثم  
استأذنا في أن يدعوا صديقتيهما الآنسة فلورنس  
طاهية الأسرة التي تسكن الطبقة العليا من المنزل ،

طلب أمه ، ونهض باسماء والتفت إلى (أنا) على سبيل الأدب والتظرف ، وبحث عن أغنية من الأغاني التي تناسب مقتضى الحال وتوائم جلال المأدبة . واتخذت (أنا) هيئة السرورة وتطرحت الى وراء على كرسيها لتسمع . وبدأ على الوجوه المصغية افترار من السرور المبهم ؛ وأعلن الفتى المغنى أنه سيفنى ( الخبز الملعون ) ثم دور ذراعه اليمنى على صورة قرص وأخذ ينشد :

إن الخبز المبارك هو ماتصنعه الأرض ؛  
ولا بد أن نقتله بسواعدنا الفتية !

ذلك هو خبز العمل الذي يقسده الرجل الصالح في المساء إلى بنيته وهو جذلان مقتبط . ولكن هناك خبز آخر يفتن النفوس ويفغى : ذلك هو الخبز الملعون الذي زرعه لهلاك كنانهم . أيها الأطفال لا تلمسوه ! إنه خبز المار والخطيئة . أيها الأطفال الأعززة ! حذار أن تمسوا ذلك الخبز الملعون !

\*\*\*

انفجر المدعوون بالتصفيق وأطالوه في حدة وشدة . وقال الأب توشار : « ذلك شيء في محله » . وأدارت الطاهية الدعوة في يدها قطعة من الخبز ونظرت إليهم في حنان وإشفاق . وقال السيد سوفنتين مغمغماً : « حسن جداً » . ومسحت العمة لاموندوا عينها بقوطها . وأعلن العريس أنه سيفنى المقطوعة الثانية ، وانطلق ينشدها بقوة وحمية :

احترموا ذلك البائس الذي حطمته السن العالية فجاء يستندى الأكف على قارعة الطريق . ولكن احتقروا ذلك المتبطل الذي يترك العمل وهو صحيح البدن جم النشاط ثم يمد يده للمؤال . إن الاستجداء مع القدرة سرقة من المنتج

ترعى النظام وتستمتع بالطعام وتوفر الجلال للمأدبة وأخيراً وقفت على وصيد غرفة الطعام العاطلة من أماتها وصاحت في القوم : « تعالوا هنا بأجمعكم لحظة ! » فسارع إليها الاثنا عشر مدعوا فوجدوا اثني عشر كوباً من خمر ماديير مصفوفة على صورة الاكليل فوق منضدة عالية ؛ وأخذ كل من المروسين بخصر الآخر ووقفوا في أحد الأركان يتبادلان القبل ؛ وظل السيد سوفنتين يتمهد (أنا) بالنظر مسوقاً بتلك الرغبة وذلك الرجاء اللذين يحركان الرجال حتى الشيوخ والسوخ إلى النساء الحسان كأنما يفرض على الأنث واجب الحرفة والتزام الصنعة أن يتران عن شيء منهن المذكور

أعدت المائدة وجلس إليها القوم : أهل الزوجين في طرف ، وبقية الناس في طرف ؛ وتصدرت في اليمين الحماة ، وتصدرت في الشمال العروس ؟ وأخذت (أنا) تجعل بالها إلى المدعوين أجمعين فلا تدع كاساً تفرغ ولا طبقاً ينقص . ولكن رهبة الاحترام ووازع الاحتشام اللذين بهنهما في النفوس نخامة المسكن وأبهة الخدمة ، ألجما الأفواه وشلا الجوارح . إنهم بأكلون أشد الأكل ، ويطمعون أجود الطعام ، ولكنهم لا يمزحون ولا يمزحون كما يفعل الناس عادة في ولائم الأعراس . كانوا يشعرون بأنهم في جو تشيع فيه مهابة الجلالة فبرمت الأم توشار بتلك الحال ، فهي بطبعها دعابة تحب المزاح وتطلب الضحك ؛ وأرادت أن تسرى ذلك الانتقباض عن القوم ، وكانوا قد أتوا على ألوان الطعام ووقفوا على الحلو ، فطلبت إلى ابنها فيليب العريس أن يغنى المدعوين أغنية ، وكان قد ذهب سيمه في الحى أن صوته أرخم صوت في مدينة الهافر ؛ فلبى العريس

أيتها الأطفال الأعزّة ! حذار أن تمسوا ذلك  
الخبز الملعون !

\*\*\*

لم يردد البيت الأخير إلا الخادمتان والآب  
توشار. أما (أنا) فقد انتدسف لونها وكسر طرفها  
الغنى، واف رأسها الخجل. وأما الزوج المني فقد  
ملسكه الدهش وظل ينظر حواليه نظر الذاهل يحاول  
أن يعلم السبب في هذا الفتور المفاجيء. وألقت  
الطاهية قطعة الخبز من يدها كأنها مسمومة.  
وحاول السيد سوفتئين أن يتخذ الموقف فقال: إن  
المقطع الأخير شديد مفرط في الشدة. وطنى الدم  
في وجه الآب تاي فاحر حتى أذنيه، وتسمر الغضب  
في عينيه. وصاحت (أنا) في خدما بصوت  
يهدجه البكاء. ويبلله الدمع أن يقدموا الشمبانيا.  
وسرعان ما تطلعت وجوه القوم ونابت الى نفوسهم  
البهجة. وكان الآب توشار لم يزولم يحس ولم يبع،  
فظل يردد بين يديه قرص الخبز وهو ينشد:  
أيتها الأطفال الأعزّة ! حذار أن تمسوا هذا  
الخبز الملعون !

ورأى المحتفلون قناني الشمبانيا بأقنعتها الفضية  
على أبدى الخدم فهبت في نفوسهم ثورة العاصفة  
وزجج في حناجرهم صوت الرعد وصاحوا منشدين:  
أيتها الأطفال الأعزّة ! حذار أن تمسوا ذلك  
الخبز الملعون !

الزيات

#### المباراة القصصية

طلب إلينا كثير من الكتاب أن نمد في أجل المباراة  
في الأقصوصة لوقوع الأجل الأول في أزمة الامتحانات.  
فنزولا على إرادتهم ممدنا الأجل إلى آخريونه

الذى أو هن عظمه الكبر .

وسرقة من العامل الذى قوس ظهره العمل .  
خزى لمن يعيش على خبز المحول والسكسل !  
أيتها الأطفال الأعزّة ! حذار أن تمسوا ذلك  
الخبز الملعون !

\*\*\*

نهض القوم أجمعون واقفين حتى الخادمتان ،  
وأخذوا يرفعون عقائرهم بالبيت الأخير . وكانت  
أصوات النساء الناعمة الحادة تقطع أصوات الرجال  
الرزينة المثلثة . وكانت العمه والعروس بكيان أحر  
بكاء ؛ والآب تاي يخط في صوت كصوت البوق  
المزدوج ؛ والآب توشار يردد جازعا بين يديه قرصا  
من الخبز ؛ والطاهية الصديقة ترسل عبراتها  
الصامتة على قطعة الخبز التي لا تزال تكابد في يدها  
المذاب ؛ وقال السيد سوفتئين في وسط هذا  
الجزع العام : « ذلك هو الكلام الحر والغزى  
الصحيح ، لا ما كنتم تريدونه من المجون والدعابة »  
كذلك أدرك التأثر (أنا) فأرسلت قبالتها إلى  
أختها ، وأشارت إلى زوجها إشارة الإعجاب والمودة ،  
تريد بذلك أن تهنيها به . ومادت بالفتى نشوة النجاح  
فأخذ يفتى المقطوعة الأخيرة في حماسة وطرب :  
أيتها العاملة الحسنة ! كائى بك تصيخين وأنت  
في مأواك المتواضع إلى صوت الخادع المغوى !  
اذهي لشأنك يامسكينة ! اتركيه ولا تتركي اليرة .  
إن أهلك هم أنت ؛ فسمادتهم فيك وبك .  
هل تجددين في الترف الخزى والبذخ الأنيم جمالا  
ولذة حين يرسل إليك أبوك في نفسه الأخير  
لمنته ودعوته ؟  
إن خبز الخطيئة والخزى معجون بالدموع !

# ليلى

بواسطة إبراهيم عبد القادر المازني



أمام عينها ، كشريط السيما ، ما كان من أمرها إلى الساعة ، فقد تخرجت في المدرسة السنية ، ولكنها لم تشتغل بالتدريس ، فقد أحبت فتى رقيقاً أغراها بنفسه ، ووعداها بالزواج ، وكرر الوعد ، وأكده ، وأقسم على الحفاظ — وما أسهل بذل هذه الوعود على الشبان — حتى فاز منها بما يبغي . وألحت عليه تطالب منه الوفاء ، وتوسلت إليه ، وبكت ، وقبلت يديه ورجليه ، ولم يكن هو بنوى الوفاء ، ولا كان في وسعه ، فما كان سوى عامل في مصنع ، وإن كان مظهره يوم أنه من الوجهاء . ولم يكن يدرك ما تورط وورطها فيه — وماذا عسى أن يخشى مثله ؟ ولكنها هي كانت لا يخفى عليها ما هي سائرة إليه من الفضيحة ، لا محالة ، إذا لم تعجل بالتدبير المنقذ . وإيتها أطلعت أمها على ما كان من أمرها مع هذا الفتى . . . ولكن ماجدوى « ليت » بمد ثلاث سنوات قضت فيها الحسرة على الأم المسكينة ، ولم ترق قلب أبيها الغليظ ؟ وكانت ليلى تخشى ضعف أمها ، وقوة أبيها ، فلم تجد أمامها إلا فتاها تلتقي بنفسها عند قدميه ، باكية ، متوسلة ، وهو يرى تضعفها هذا ، فيتجبر ، ويتغطرس ، ويتحكم ، ويدعوها أن تفر معه . وتتردد هي وتحتجم عن هذه الخطوة الحاسمة التي لا رجعة بعدها إلى أهلها ، فإن أباه عنيف عنيد ، يؤثر أن يقتلها على أن يقبلها في بيته . بل هو لا محالة

وقفت « ليلى » أمام المرأة ، تصالح شعرها وتضع فيه المشابك ، وتسويه براحتها وأنامها ، وتنثني شعرات منه هنا ، وترد أخرى إلى مكانها هناك ؛ ثم تناولات المشبنة وفتحتها ، ونظرت فيها هنيئة ، ثم قلبتها على المنضدة ، ونفضتها بأطراف أصابعها ، ثم نحتها وراحت تتأمل ما أفرغته منها . ثم هزت رأسها أسفة ، وشرعت ترد الأشياء إلى الحقيقية : المشط والندبل وثلاثة طوابع يريد بثلاثة ملائم . . . لا شيء غير ذلك . . . حتى ولا أجرة الترام إلى عملها الجديد الذي فازت به . وما غناء ثلاثة من طوابع البريد بثلاثة ملائم ؟ . . . لو كانت ستة لباعها وركبت الترام من غمرة ؛ فإن المسافة طويلة من حدائق القبة إلى شارع سليمان باشا . . . ولو كانت عشرة لباعها أيضاً — لا لتركب — فإن المشي يسهل أن يحتمل إذا كان معها قرش تأكل به . . . كلا . . . لا بد أن تصبر على الجوع وأن تتجلد وتحتمل المشي مع الطوى ، وما بقى سوى يومين ثم تقبض أجرها عن هذا الأسبوع الأول . ولكن هل تستطيع أن تحتمل الجوع وتعبد العمل والمشي يومين كاملين ؟ وأبت أن تفكر في هذا ، وأن تدعه يشبط همتها ، وقالت لنفسها إن حسبها أنها وفقت إلى عمل ، وأنه وسعها أن تظل حية إلى اليوم . وهبطت على كرسي وهي تقول : « آخ ! » لا من التعب ، بل مما ستلقى في يومها هذين ، ومر

وقد لا يكون أشرف ولكنه سبيل الحياة إذا شئت أن تبقى حية . وقد كان . فرت مع هذا الفتى وحملت معها في حقيبة الثياب حليها ، وشيثاً من حلي أمها أيضاً ، وقد نفعها ذلك ؛ فما أقامت مع الفتى إلا أياماً في فندق زرى . وكان ظنها أنها ذاهبة إلى بيته ، وأملها أنها ستكون زوجة له فيكون مما يرجى أن تفسّر ذاتها على جسامتها ، فاذا بالفتى لا يريد إلا أن يقضى أياماً في متعة خالصة ثم ياتي بها عظماً بعد أن أكلها لحمًا ، فسكادت بحزن ؛ واغتنمت فرصة خروجه من الفندق يوماً ، فحملت حقيبتها وأدت حساب الفندق ، وانطلقت على غير هدى . وصارت المسألة « أين تذهب ؟ » بيت أبيها لا سبيل إليه ، وأترابها في المدرسة . . . كلا . . . هذا أيضاً ممنوع . . . وتذكرت وهي واقفة في محطة الترام صديقة لها كانت من جيرانها في زمن الحداثة ، وهي الآن « حكيمة » في قصر المينى . ولكن الحكيمات في هذا المستشفى يبتن فيه ولا يخرجن إلا أياماً معلومة ، فما العمل ؟ ولم يطل ترددّها فذهبت إلى « العيادة الخارجية » وسألت تلميذة لقيتها فيها عن صاحبها ، واتفق أنها كانت تعرفها فدلتها عليها ، وأنبأها أنها تعمل في قسم الرمد ، وكتبت إليها ورقة بمثل بها مع خادم أو « غورجي » كما يسمى ، فدعتها الحكيمة إليها . وكانت هذه المقابلة بداية الفرج

وقد خرجت من المستشفى في طريقها إلى « الهوستل » حيث الطعام والنوم ، فتحدثتها دقائق ثم تكر راجعة إلى البيت . وكانت المسألة التي تشغل البنيتين هي كيف ينبغي أن تحيا لبلى ؟ فقد كان مفهوماً أن إقامتها في بيت صاحبها ليست سرمداً وإن كانت تنفق على نفسها من ثمن ما تبنيه من الحلى ، فإن لهذا آخراً على كل حال . وكان مما فكرا فيه أن تعمل في عيادة أحد الأطباء ؛ ولكن لبلى أشققت أن رايها عنده أحد من أهلها أو معارفها . وخطر لها أن تعمل في مصلحة التليفون ، ولكن السى أخفق ، ولم يجد وسطاات الأطباء الذين استمات بهم « الحكيمة » فقد تحول التليفون وانقلب « أوتوماتيكياً » فما الحاجة إلى بنات جديرات ؟ وخشيت أن تشتغل بالتعليم في مدرسة أهلية فيهدى إليها أبوها ، وكان خوفها من ذلك عظيماً . وأخيراً اقترح عليها طبيب أن تتدرب على الآلة الكاتبة ففعلت وأتقنت ذلك حتى صارت تكتب ثمانين كلمة في الدقيقة ، وأعانها الطبيب وألحقها بكتب يتلقى طلبات « النسخ » ، ولكن العمل كان قليلاً لأن أكثر ما كان يطلب كان باللاتين الفرنسية والإنجليزية ، وكانت تعرف الإنجليزية ، فقد تعلمتها في المدرسة ، فلم يسمها إلا أن تتدرب على كتابتها على آلتها ، وسهل عليها بعد ذلك أن تستطيع نسخ « الفرنسية » أيضاً فإن الحروف واحدة وإن كان جهلها بهذه اللغة قد جعلها أبطأ . غير أن السرعة يمكن أن تجيء مع الوقت

واستغنت على الأيام عن المقام في بيت صديقتها وإن كانت صلتها بها قد بقيت وثيقة ، فإن فضلها عليها كبير ، وجميل صنعها معها ليس مما يجحد ، ولا مما ينسى حتى لو نزعته نفسها إلى الكفران . وأفلست المكتب فانتقلت إلى سواء بعد عناء ،

أقامت لبلى بعد ذلك مع أهل الحكيمة ، وكانتا تلتقيان يوم الأحد ويوم الخميس والجمعة ، إلى مساء ، — كل أسبوعين مرة — وكانت لبلى ربما اشتاقت إلى صديقتها في أيام عملها بالمستشفى فتذهب ، في الظهر أو في الساعة التاسعة ، لتراها

على الرغم من أنها أصبحت معروفة في هذا المحيط — محيط الكاتبات الناصحات . وكانت حلماً قد ذهبت جميعاً في نفقات الحياة ، وأجور التعليم ، وسد النقص ، وهامى ذى الآن قد التحقت بمكتب جديد بعد أن ظلت عاطلة شهرين أكلت البطالة في خلالها القليل الذى كان مدخراً

ونَهَضت عن الكرسي وهي تنهد وتناولت حقيبتها ، لتخرج إلى عملها ، وكانت الساعة السابعة فأماها ساعة كاملة للشئ إلى المكتب ، وقد عرفت بالتجربة أن الساعة فوق الكفاية ، ولكن فسحة الوقت خير من ضيقه ، ومضت إلى بابها لتفتحه وتخرج ، وإذا بنقر خفيف عليه ، فقالت : « تفضل » فدخل رجل بدين وسلم وقال : « أراك خارجة »

قالت : « نعم . . . » وهمت أن تقول إنها مضطرة إلى التفكير ، ولكنها كبحت نفسها فابتنه هذا فقال : « أجرة الغرفة عن ثلاثة أسابيع . . . ألا يمكن أن تعطيني منها شيئاً على الحساب ؟ » قالت : « آسفة . وإنى لشاكرة لك هذا الصبر كله . والمطاف أيضاً .. بعد يومين .. أقبض أجرة الأسبوع فأعطيك شيئاً »

قال : « إنك تخرجينى مع زوجتى . هذا الصبر الطويل ليس له عندها إلا معنى واحد . وقد أندرته اليوم . وعبثاً أحاول أن أفهمها الحقيقة .. لا تريد أن تفهم . كل ما تعرفه أن الأجرة تأخرت ثلاثة أسابيع . وكل ما تريده هو أن تؤدى إليها هذه الأجرة أو تخرجى اليوم »

قالت : « ألا يمكن أن تهملوني يومين اثنين ؟ أين أذهب إذا خرجت اليوم ؟ ليس لى مكان آخر » فهز الرجل كتفيه الغليظتين ولم يقل شيئاً فدنت منه ليلي وقالت : « أرجو . أرجو أن

تهملنى . كن شفيعى عندها »

فقال : « لو كان الأمر إلى لما تقاضيتك شيئاً قط . ولكنك تعرفين زوجتى . ولست أعرف لى حيلة »

قالت : « ولكن كيف أستطيع أن أعطيك اليوم شيئاً ؟ لا أعرف أحداً أقترض منه . ولا يمكن أخذ شئ من المكتب . إنى جديدة فيه » فقال : « اسمى . . . لو لم تكونى بلهاء لأمكن تذليل كل هذه المصاعب . . . ولكنى لم أرفقاة مثلك »

فقالت : « ماذا تعنى ؟ . . كيف يمكن تذليل المصاعب ؟ » فأراح كتفيه الغليظتين على كتفها وقال : « أنا أستطيع أن أدبر الأمر إذا طاوعتنى »

فهزت رأسها غير فاهمة فقال : « تعالى . . . » وطوقها بذراعه ، وأدنى شفته المبطونتين من فمها ، لحاولت أن تنأى عنه ولكنه جذبها إليه بقوة ، خلوات وجهها عنه ، فذهبت شفاته تعبثان فى نحرها ، وكتفها ، وكانت يده اليسرى تمسح صدرها وتقف وتكور على ثديها الراسخ ، فكاد عقلمها يطير ، وتغلست من عنقه بمنف ، وارتدت راجمة الى آخر الغرفة وهي تلهث وتنهج ، كأنما كانت تجرى ، وصدرها يملو ويهبط كالوج ، من جهد المقاومة ومن الغضب أيضاً . وكان هو ينظر إليها نظر النعمة والغيظ ، فصاحت به وهي ترجف : « إذا لم تخرج من هنا فساأصرخ »

فزام ، وهز رأسه ، وقال وهو يدور ليخرج : « طيب . . . سنرى . . . إما أن تدفنى اليوم وإلا فأخرجى أنت » فلم تقل شيئاً . . . وماذا عسى أن تقول ؟

« بونجور »

« بونجور ... خذى هذا العنوان واذهبى إليه

حالا ... عمل مستعمل ... الرمنجتون ذهب بها  
أحمد ... العمل يستغرق يومين ... ثلاثة ... المهم  
الاتقان ... يجب أن يكون راضيا ... فاهمة ؟ »

فذهبت ولم تسأله أهو عربي أم أفرنجى ...  
وماذا يهم ؟ ... كله عمل ... آلى ... ودخلت  
الشقة فاذا هى بيت لا مكتب ، وقالت للخادم  
النوبى : « إنى من محل ... »

فاكتفى بأن يشير إلى غرفة المكتب فجلست  
على كرسي من الجلد كبير وثير ، وأدارت عينها في  
الغرفة فلم تر فيها أثاثا غير كرسي آخر كالذى  
جلست عليه . وحول الجدران رفوف كثيرة عليها  
كتب لا تحصى ، وثم في الركن مكتب أنيق ،  
وفي وسط الغرفة منضدة صغيرة ، مما يستعمل  
للشاي ، وضعت عليها « الرمنجتون » فتوقعت أن  
ترى رجلا على السن وأدهشها أن يدخل عليها  
شاب بناهز الثلاثين وان تلم أن هذا هو الذى  
جاءت لتعمل له ولتنسخ ما يشاء

وقال بركة لا تكلف فيها : « قهوة ؟ »

قالت : « أشكرك ... فيما بعد ... بماذا تأمر ؟ »

فقال وهو بناولها ماذا ضحكها : « في كم يوم

يمكن الفراغ من نسخ هذا كله ؟ »

فقلبت الأوراق ونظرت في الخط والسطور ثم  
رفعت رأسها إليه وقالت : « صعب أن أقول كم  
يستغرق ... ولكن ... بمد ورقة أو اثنتين أستطيع  
أن أحكم حكما قريبا من الصحة »

فهز رأسه وهو يبتسم وتحول عنها ثم كأنما  
خطر له خاطر فدار على عقبه بسرعة وسألها :  
« يهودية ؟ »

فابتسمت له ، وقالت وهى تهز كتفها :

« لأنى شقراء ؟ »

فقال : « إذن أنت ؟ »

فأراحتته من عناء التخمين وقالت : « مسلمة »

فقال وهو يهز رأسه بعنف كأنما وجد ما يسره

من حيث لم يكن يحسب : « أنا أيضا مسلم »

فلم تقل شيئا واجترأت بالابتسام ، وشرعت

ترفع غطاء « الرمنجتون » . وتركها هو وذهب

فجلس على الكرسي الآخر ثم رآها تنافست في الغرفة

فنهض وهز رأسه مستفسرا ، فنهضت هى أيضا

وقالت : « لا تنمب نفسك ... أظن أن فى وسمى

أن أجد كرسيًا من الخيزران فى ... »

فقال وهو يمدو الى الباب : « بالطبع ... أما

إنى لمغفل ... »

وعاد بالكرسي وهو يقول ضاحكا : « لكأنما

كنت أظن أنك ستجلسين القرفصاء وتكتبين على

حجر ك ... ! لم تشهدى ذلك العهد بالطبع ...

لا يمكن ، فأنك ما زلت صغيرة .. أوه جدا ..

ولكى أين تعلمت الكتابة على هذه الآلة ؟ معذرة

إذا كنت أن طفل ولكن المصريات يندر .. جدا أن

تمنى واحدة منهن بذاك »

قالت : « ولكنى استطعت أن أتلم .. صنعة

فى اليد أمان من الفقر » وابتسمت

فقال : « أهو ذاك ؟ معذرة .. كان سؤالى

فضولا منى لا يفتقر .. ساحبىنى »

فسرها منه هذا الأدب ، وقالت : « ليس

هذا سرا .. ألسن أعمل .. لست هاوية بالطبع »

فقال : « إذا كنت تعملين فى مكتب .. فأنك

ولا شك تعرفين لغة أجنبية أو اثنتين ف ... »

قالت : « أعرف الانجليزية ، وأصبحت أعرف

من الفرنسية ما يكفى للنسخ ... وأتكلّمها أيضا

فإننا جميعا نتكلّمها هناك »

بالروايات والقصاص ، ولكنها منذ ثلاث سنوات لم تقرأ رواية ، وإن كانت قد ذهبت مرارا الى السينما — وهي مطمئنة فان أباهما من أعدائها سيما ومع ذلك كانت تتحرج وتلقى على وجهها نقابا خفيفا شفافا ، حتى حين تمشي في الطريق كانت تنقب زاعمة أن هذا وقاية من الشمس والتراب

ولم تشعر بمبد الحميد — فقد كان هذا اسمه — حين دخل عليها ووقف ينظر اليها أكثر من دقيقتين . فلما رآها لا تلتفت اليه ، ولا ترفع عينها عن الورق ، ولا تتمهل أو تتباطأ في العمل قال : « معذرة ... إن هذا انتحار »

فرفعت رأسها حينئذ وقالت : « أوه ... لم أرك لما جئت ... كلا ... إني على العكس مسرورة ... وأعترف لك بأن هذه أول مرة سرني فيها عملي ... رواية مذهشة »

فقال وهو ينحني كفيها عن الرمنجتون : « قد تكون الرواية أو لا تكون مذهشة ... ولكن أبعث على الدهشة ألا يحتاج الانسان الى الراحة . تفضلي وقوى وأريحى جسمك قليلا على هذا الكرسي »

وتناول ذراعها لينهضها ، فقالت وهي تقوم : « صدقت ... أستريح دقيقة »

فقال وهو يعضى بها الى الكرسي : « تستريحين تماما ... »

فقالت وهي تجلس على الكرسي : « ولكني أريد أن أعرف بقية الرواية »

فقال : « اضطجعي أولاً ... أنا أقص عليك البقية .. ألخصها لك في ألفاظ قليلة »

قالت : « كلا ... هذا يفسدها ... إني أريد أن أقرأها »

قال : « إذن أقرأها لك »

فقال : « أوه لست أريد أن أفتح لك محضر تحقيق ... معذرة مرة أخرى ... ورفع يده الى جبينه المريض ومسحه وقال : « هذه أول مرة أرى فيها مسلمة تشتغل بالنسخ ( وضحك ) أرانا نتقدم ... أليس كذلك ؟ »

وكانت قد شرعت تدق على الآلة الكاتبة ، فاكثفت بالابتسام

وتركها هو بعد ذلك وخرج بعد أن قال لها إن في وسعها أن تطالب ما تشاء من الخادم ... أى شىء ... قهوة ... شاي ... أكل ... كل ما في البيت تحت أمرها

ولسكنها لم تطالب من الخادم شيئا ، ولم تعلق راحتها ، بل أقبلت على الآلة تدق ، وتدق ، بسرعة ثمانين كلمة في الدقيقة ، وتخرج له من كل ورقة نسختين . واستغرقتها العمل ووجدت فيه متعة لا عهد لها به في مثله ، فقد كانت هذه رواية تنقلها — استمدادا لطبعها ولا شك — وكانت الصور التي يرسمها المؤلف — هذا الشاب الوسيم الثوب تتجسد لها ، والمواقف تتمثل ، وهي تدق ، وتدق بسرعة ثمانين كلمة في الدقيقة ، وكانت نفسها تجيش بمثل العواطف الموصوفة ، والاحساسات المصورة ، فتضحك تارة ، وتحنقها المعبرات تارة أخرى ، وتعبس حينها ، وترى نفسها تنطق بالألفاظ التي تدقها بقوة وعنف كأنها تمثل ما تقرأ ، أو كأنها كان الأمر حقيقة لا خيالا . وكانت ورقة بعد ورقة تاتي في السلة على المكتب وهي ذاهلة عن كل شىء . فما قامت مرة ، ولا تمطت اترج أعضائها المكدودة ، وتحرك أصابعها التي كادت تتشنج وتتصلب أو تنخشب ، ولا شعرت بظما أو جوع ، ولا كان لها بال إلا الى هذه الرواية التي تقرأها وهي تنسخها . ولقد كانت مشغوفة أيام المدرسة

قالت : « تتعب ... دعنى أقرؤها أنا ... وأنا أستريح »

قال : « بعد الغداء ... الوقت طويل »

فقالت : « الغداء ؟ كلا ! اسمح لى أن أخرج ثم أعود فى الساعة الثالثة ... كالمادة »

قال : « ولم لا تبقين وتنفدين هنا ؟ قولى إنك باقية »

قالت : « لا أستطيع ... سأعود بالطبع بعد الظهر ... »

وكانت تعلم أنها مفلسة ، وأنها لا تستطيع أن تذهب الى بيتها - حيث ذلك الرجل الخشن الفظيع - وهبه ليس فيه فئاة تصنع هناك ؟ . وإذا لم تذهب الى البيت فأين يمكن أن تذهب ؟ . هذا شاب يمرض عليها أن يطعمها وأن يريحها من الأنياب التى تمزق أحشاءها ، وبغفها من الشعور الثقيل بالقرص والمض فى جوفها ، فلم لا تطيع وتقدم وتأكلى ؟ وأحست وهى تدير هذا فى نفسها بالدموع تفرق فى مآقيها وتخنقها ، وخشيت أن تخونها قواها وأن تغلبها العبرة أمامه ، فقرضت أسنانها وشددت أعصابها ، ونهضت متحاملة على نفسها

فقال : « إلى أين ؟ لا يمكن أن تخرجى ... عيب ... لا يليق »

فقالت بضمت - فما بقيت فى بدنها ذرة من القوة بعد أن أنفقت البقية فى المكابرة : « أرجو ... » ولم تزد فقد هوت كالجنة أو كأنها ثوب فارغ ! ولم يكن هذا مما يجرى لصاحبنا فى حساب ، فلم ينتبه إلى ما حدث إلا بعد أن ارتمت على الأرض - بعضها على الكرسي وبعضها على السجادة - فأنحنى عليها وحملها وأراحها على الكرسي ، وخرج بعدو وبصيح : « محمد . محمد . نعال حلالاً ... »

ولم ينتظره بل ذهب إلى غرفة النوم وجاء منها بزجاجة من الكولونيا رش منها على وجهها الأصفر ، وأقبل على راحتها يداكهما وخلع حذاءها وجوربها ، وراح يداكهما أيضاً بالكولونيا ، ومحمد واقف ينتظر ، وينتظر الأوامر التى لا تصدر ، ولا يصنع شيئاً

وبعد لآى ما بدأ الدم يعود إلى وجهها المنقوع ، فتنفس عبد الحميد الصمداء واطمأن ، وفتحت ليلي عينها وأجالتهما فى ما حولها بفتور ، ثم تهتت ووسمها أن تتكلم

فقالت : « لم يحدث لى هذا أبداً »

فقال بشيء من العنف : « كان جيلاً جداً أن يحدث لك هذا فى الشارع ... هه ؟ »

فابتسمت وقالت : « أشكرك .. إني آسفة .. هذه أول مرة »

فقال : « محمد ! .. خذ هذه الزجاجة وضعها فى مكانها ... والآن لا يسعنى ، وقد خرج محمد ، إلا أن أوجه إليك سؤالاً ثقيلاً .. بارداً فى الحقيقة .. ولكنه واجب .. متى أكلت آخر مرة ؟ .. احذرى أن تكذبى »

قالت : « لا داعى للكذب ... أمس الظهر »

قال : « لقد ظننت ذلك ... »

قالت : « كيف عرفت ؟ »

قال : « أوه المسألة فى غاية البساطة ... ليست مسألة فراسة ، ولكنها مسألة ضم قرينة إلى قرينة ... وأعترف أنى مررت بمكتب ... واستدرجت صاحبه إلى الكلام عنك ، فقال إنك معروفة فى مكاتب النسخ ، وإن كنت من الجديديات عنده ... هذا يومك الخامس فى مكتبه ... وأثنى عليك وطمأننى كأنما كنت أحتاج إلى ذلك ... فلما أغمى عليك الآن أدركت أن هذا من التعب

وتعليك في عيني .. ولكنك تكلف على كل حال  
فقلت مستغربة : « تكلف ؟ أبداً »

قال : « إن الذي أعنيه هو أنك الشجاعة  
لا تكون إلا تكلفاً .. شيء يحمل الإنسان نفسه  
عليه .. هذا ما أعني »

فقلت : « ولكني لست قاهرة »

قال : « نؤجل الدرس إلى وقت آخر ؛  
ونتحدث الآن عنك .. قولي ما اسمك ؟ »

قلت : « فريدة »

قال : « ينطقونها في الكتب ( فريدا ) ...  
ما علينا .. هل هذا اسمك الحقيقي ؟ »

قلت : « لماذا تظن أنه ليس اسمي ؟ »

قال : « ما رأيت من شجاعتك يحماني على  
هذا الظن ... أنت بنت ناس »

قلت : « كل الناس أبناء ناس »

وضحكت ، فقال : « أعني أنك تشعرون بكرامة  
تحرصين عليها »

قلت : « هل أنا الوحيدة التي تفعل ذلك ؟ »

قال : « أعترف أنني انهمزت ... عندي كلام  
كثير ... حجج ... ولكني أؤثر الهزيمة ... فما  
قولك في أن تكون صريحين ؟ »

فضحكت . ولم يكن ضحكها مروراً بل عن  
شعور بالضعف وبالاضطراب الذي أدركت أنه  
سيدفعها إلى الاعتراف بكل ما في نفسها . فقال :  
« قولي لي اسمك الحقيقي ... سأحتفظ به »

فأقرت من حيث تريد المسكوبة وقالت :

« ولكن ما الفرق بين اسم واسم ؟ .. كله اسم »

قال : « ها !! لقد صح ظني ... والآن

ما اسمك الحقيقي ؟ .. لقد وعدتك بكتمانك ، فهل

تستطيعين أن تثقي بي ؟ »

قلت : « نعم ... ليلى »

والجوع .. ألا ترين أنني أصالح للقيام بدور سنكلور  
أو شرلوك هولمز ؟ »

فضحكت وقالت : « لماذا سألت عني ؟ .. »

فقال : « قبل أن أجيبك يجب أن تنتظري  
قليلاً حتى أعود إليك »

وخرج وتركها ، فراحت تفكر مسرورة

في هذا الشاب - نعم هو شاب وإن كان الأرجح

أنه جاوز الثلاثين - وفي رفته ودعته ، وفي صروته

نفسه وحسن أدبه ، وفي براعته في فن الرواية براعة

جماتها تعمل كما لم تعمل قط في حياتها .. وفي

وسامته ، وفي هذا السحر الذي ينطلق من عينيه ،

فينفذ إلى القلب ، ثم تنهدت آسفة سحر

أولا سحر .. سيان ! لا شك أنه يعجب بها ..

هذا واضح .. ولكن ما قيمة هذا الإعجاب ؟

وهبه أحبها ، فما أملها معه إلا أمل الخلية ؟

وهيات أن ترضى ذلك ؟ ولو كانت ترضى ذلك

لما فاتها ما فاتها من الفرص ولا كانت خسرت

ما خسرت من الأعمال ، فما كان أكثر أصحاب

الأعمال الذين طعموا في هذا النوع من العلاقة ،

ولما خيبت أملهم ألغوا بها في الشارع .. وحسبها

زلة واحدة في حياتها أورتها هذا الشقاء الطويل ...

واختصرت زفرة طويلة ، فقد دخل في هذه

ال لحظة محمد وأمامه سيده - الخادم يحمل ساطانية

متوسطة فيها مرق ، والسيد يحمل فوطة

وقال السيد : « اشربي هذا .. حالاً .. »

وطرح الفوطة على حجرها ، ففعلت كما أمر ،

وقال لها : « هذا يكفي الآن .. بعد طول الطوى

يحسن التخفيف حتى لا تتعب المعدة »

فقلت وهي تضحك : « لا تبالغ .. إنه يوم

واحد ليس إلا »

قال : « هذه الشجاعة التي تظهرينها تسرني

قال : « ليلي ؟ .. ليلي ما ذا ؟ »

فقالت : « ألا تعفيني ؟ .. لست أشعر أنني أستطيع المقاومة إذا ألححت ... ارحم ضمقي »  
فقال : « بالطبع ... معذرة ... لست أريد أن أستغل ضعفك ... كلا ... اغفري لي فضولي فانه ليس عن خسة بل عن .. »

وأمسك متردداً ؛ فقالت وقد رأت تردده وأدركت بغريزتها الذكوية ، دلالة : « عن .. ؟ »  
فقال : « عن حب .. لقد قلنا ... قولي عني مغفل ... ماشئت قوليه ... ولكنها الحقيقة ... وقد استرحت الآن .. رفعت عن صدري حجراً .. تنفست .. عجيب ولا شك .. هي دقائق رأيته فيها .. ولكنني مع ذلك أحببتك كأني عرفتك من قبل أن أخلق ... كأنما كنا معاً في عالم آخر قبل هذا . ولست أقول هذا لأخدعك ، وإني لأعلم أن الرجل يستطيع أن يخدع المرأة بتمثيل دور العاشق ، ولكنني لا أحاول خداعك ، ولا مطمع لي فيك .. كل ما أعرفه أنني أحببتك .. قد يكون هذا شعوراً وقتياً يفتر بعد قليل أو كثير ... وأي حب لا يفتر ؟ .. على كل حال لا أعلم ... أعرف فقط أنني فوجئت بهذا الحب الذي عمر نفسي وشاع فيها علواً وسفلاً ... انظري إليه كيف شئت ... باستخفاف إذا أردت إذا لم يسمعك غير ذلك ... ولكن صدقيني .. فاني أحتمل الاستخفاف ولكنني لا أستطيع أن أحتمل التكذيب .. كلا .. »

فقالت ببساطة : « إني أصدقك »

فصاح بها : « إيه ؟ »

قالت : « ألم تسمع ؟ هات أذنك وأنا أصيح لك فيها .. صدقتك ... هل سمعت الآن ؟ لا لا لا لا ... صدقتك معناها صدقتك فقط ! ! »

وعرف اسمها الكامل ، واسم أبيها أيضاً ، فقال وهو يمسح جبينه : « انتظري ... أليس والدك هو الذي كان ضابطاً في الجيش ؟ »

قالت : « هو بعينه »

قال : « وكان يسكن في شارع .. »

قالت : « هذا هو البيت الذي ولدت فيه »  
قال : « غريب .. لقد كان أبي رحمه الله صديقاً جداً لأبيك .. ولداها يلتقيان الآن ! .. غريب ؟ وماذا حملك على ترك أبيك ؟ أسمع أنه كان غنياً »  
قالت : « لأنني خفت عنفه .. اسمع .. سأقص عليك حكايته كلها .. لم يبق بد من هذا .. وأحببني بعد ذلك إذا استطعت .. ربما كان هذا لازماً تنشفي »  
وقصت عليه الحكاية ، ولم تكتم شيئاً ، ولم تحاول أن تهون من زلتها . كان يصني وهو مطرق ، فلما فرغت قالت : « والآن يمكنك أن تباغني أنك دفنت حبك المبالغ لهذه الفتاة الطائشة »

قال : « لقد كنت ضخمة ... ولست أدفن حبي لك ؛ ولكنني أنوي أن أعلنه ، فهل تسمحين لي بأن أطمع أن تحبيني يوماً من الأيام ؟ »

فأطرقت تفكر ، فقد أساءت فهم ما قصد إليه وتوهمت أنه يريد لها كما أرادها غيره ، خلية ، وشعر هو من إطرافها أن معنى كلامه ليس واضحاً ، وشجوه ترددها الظاهر ، فقال : « إني لا أرى أنني أستطيع أن أعيش بعد اليوم بدونك ، فهل تقبلينني زوجاً ، على أن تكون الطاعة مني والحب ، ولا يكون منك إلا ما يسمح بالأمل في أن تحبيني يوماً ما ؟ »

فصاحت : « ولكنني أحبك من الآن ؟ »

وندعهما ذابقي لانا مقام معهما !

ابراهيم عبيد القادر المازني



## يَوْمَئِذٍ أَنَا فِي الْإِرْيَافِ

للاستاذ توفيق الحكيم

١٨ أكتوبر .....

كان أول ما فمات عقب رجوعي إلى مكنتي  
أن أرسات في طلب الشيخ عصفور ، فحضر أمانى  
مطرقاً صامتاً فابتدرته :

— البنت ريم تمجيك ؟

فرفع رأسه ونظر إلى نظرة أحسست أنها  
نفذت إلى أعماق نفسى ، ثم عاد فأطرق ولم يجب  
فقلت له :

— أنا مستعد أن أطلب المأذون وأعقد

عليك وعليها

فلم يبد حراكاً ، ففضيت أقول :

— لو كانت موجودة هنا كنت حالا ....

وجمات أستحشه على الكلام فلم يخرج عن  
صمته . وأخيراً رنم بصوت كالهمس لكنه  
واضح النبرات :

نهيتك ما انتهيت

والطبع فيك غالب

ودبل السكاب ما ينمعل

ولو علقوا فيه قالب

فأتمالك أن صحت :

— إخرس يا بهيم !

وأسرعت بطرده ، وقد تبين لى أن لا فائدة  
ترجى من مثله . ورأيت أن أسأل حلاق الصحة ؛  
فاستدعيته وسألته فى أمر المرأة المخنوقة وكيف  
صُرح بدفنها بدون إذن النيابة ، فقال من فوره :  
— وشرفك ياسيدنا البك ما أعرف إن كانت  
مخنوقة أو محروقة . حضرة حكيم الصحة أمر  
بالدفن كالمتاد

— بدون توقيع كشف ؟

— لو كنا نعلم نكشف يا سعادة البك على كل

بنت كان زماننا توفينا من بدرى

— بقى بالاختصار لا حد كشف ولا نظر ..

— الجارى عليه العمل يا سعادة البك أن

حلاقين الصحة فى الجهات تبلغ حضرة الدكتور  
المفتش بالتلفون . وحضرته قاعد على مكتبه هنا  
ما عليه إلا أنه يسأل فى كل حالة عن سبب الوفاة  
وزرد عليه فى التليفون : ماتت يا دكتور مودة ربهيا

يقوم بقول : ادفن ، ادفن ، ادفن ...

— ما شاء الله ، ما شاء الله ، ما شاء الله !

ولم أرفائدة كذلك من البحث مع هذا الحلاق فأنا أدري الناس بحلاقي الصحة . إن كل مهمتهم أن يقبضوا من أهل المتوفى خمسة قروش ويحصلوا لهم على الاذن بالدفن دون أن ينظروا في وجه جثة أو ينتقلوا الى منزل . إن هم إلا سمسرة « دفن » ، وحتى مع فرض وجود التزيه منهم الذي يريد القيام بواجبه فيذهب للكشف على الجثة ، ماذا يستطيع مثل هذا الجاهل أن يستكشف ؟ إنه سيري رجلاً أو امرأة قد فاضت روحها وليس بها إصابات ظاهرة . فكيف يعرف أن الوفاة مشتبه في أمرها ؟ إن « نظام » حلاقي الصحة نفسه ، هذا النظام الذي لا تعرفه أية دولة على بسيط الأرض هو موطن الداء . ومثله عندنا نظام « الدايات » وإني ما زلت أذكر ما قصه عليّ طبيب مستشفى المركز ذات يوم . قال لي إنه دعي الى حالة ولادة عسرة في إحدى جهات الريف ، فذهب مسرعاً فوجد المريضة ملقاة على ظهرها وقد تدايت منها ذراع الجنين ويجوارها عجوز حراء الشعور والشدقين ، قالت له إنها « الداية » وأخبرته أن المريضة قد مضى عليها ثلاثة أيام على هذه الحال بهذه الذراع الخارجة منها . فسألها لماذا انتظرت كل هذا الوقت ولم تخطري الطبيب ؟ فأجابت : « كنا منتظرين ستر ربنا ، فلنا ربنا ينعمها بالسلامة » . ووضع الطبيب يده في الرحم فاذا الرحم محشو بالتبن ، وإذا مثانة المريضة قد تهتكت وأنها هالكة لا أمل فيها ، وأن المولود قد مات منذ يومين . وألقي نظرة حوله فاذا كومة من « التبن » القدر عند أقدام المرأة . فالتفت إلى « الداية » الصحية مستفهماً ، فقالت :

أصله ياسيدي الدكتور لما دخلت يدي أسحب الولد لقيتها راحت « مرفلطة » ، قمت قلت : « أحرش كفي بشوية تبين » . ومدت للطبيب يداً ملوثة « بالتبن » قد بدت منها أظافر طويلة سوداء . وقال لي الطبيب : « إن الداية تولد المرأة كما لو كانت جاموسة » . وماتت المريضة مع طفلها واكتفت الصحة بأن سحبت من هذه الداية « الصحية » التصريح ... ولكنها لم تغير النظام وهي تعلم أن ألوف الأطفال يموتون على هذه الصورة في كل عام نظرت إلى حلاق الصحة ملياً وأدركت أن أرواح الناس في مصر لا قيمة لها . لأن الذين عليهم أن يفكروا في هذه الأرواح لا يفكرون فيها إلا قليلاً . وطردت هذا الرجل أيضاً ، وقلت في نفسي : إن خير السبل في مثل هذه القضية أن أعرف مرسل البلاغ المجهول . وفكرت لحظة ، وخطر لي أن أعرض خطه على القاضي الشرعي وهو يتجرب لي بين موظفي محكمته وبين المحامين الشرعيين . ولعله هو نفسه قد مر به هذا الخط . وما دمت أعتقد أن صاحب الخطاب أزهرى فليكن البحث في دائرة المحكمة الشرعية . وطالبت في الحال عبيد المقصود أفندي رئيس القلم الجنائي وهو من أصدقاء القاضي الشرعي وكلفته أن يرافقني في الحال ، ولم يمض قليل حتى كننا في بناء تلك المحكمة ، فسألنا عن القاضي فدلونا على حجرة أمام بابها « قبقاب » ؛ فهمس عبد المقصود أفندي في أذني أن فضيلته لاشك كان يتوضأ كي يصلي الظهر . وسرد لي في عبارتين مبالغ ورع هذا القاضي وزهده . وضر بنا على الباب ودخلنا ، فرأينا القاضي خالماً جيبته وعمامته وهو جالس على حصير الصلاة ، وبين يديه طبق به بلع من نخلة رأيناها مثمرة في فناء المحكمة . فلما رأنا

المأمور مرة في الميد فوجد حجرة استقباله عبارة عن « دكتين » من الخشب فوق كل منهما فروة خروف قدرة وبينهما حصير قديم . أما المرتب الكبير فهو يكنز برمته إلا جنبهات ثلاثة هي كل نفقات الشهر . وفي آخر العام يشتري بالمال الكنوز عقاراً وطيناً . وهو لا يضع ماله في المصارف خشية أن يعرف مقداره . ولا يدري أحد أين يذفنه طول عامه . وأخبرني المأمور أن القاضي وكأنه لم يمت الليل حضر إليه في الصباح المبكر يجري ويقول في تردد :

— مشروع المسجد بلغته لسعادة المدير ؟  
فأجاب المأمور في ابتسامة خفية :  
— طبعاً اليوم آخر النهار أنا ناوي أقابل سمادته ..

فأسرع القاضي في رفق ونلطف ومال على أذن المأمور كأنما يفضي إليه بسر :  
— أرجوك بس . مسألة الخمسة جنبهات ..  
— مالها ؟ ..

— لا داعي لذكرها ..  
هذه الواقعة تمثلت في رأسي فجأة عندما قال لنا القاضي في قاق : « طلب خصوصي ؟ » فقد قرأت ما جال في نفسه . فهو لا شك قد خاف أن نكون قادمين لطلب تبرع من هذا النوع . فأسرعت أرد إليه الاطمئنان وأخبره أن حضورنا هو لعمل من أعمال وظيفتنا ؛ وأخرجنا في الحال من ماف أوراقتنا الخطاب النفل وعرضناه عليه وحدثناه فيما نريد منه فأنشراح صدره وقال :

— موضوع بسيط . نشرب الزنجبيل أولاً ..  
ثم ننظر بعد ذلك في أمر البلاغ ..  
وصفق بيديه وصاح :

نهض وحيانا وأجلسنا على الكراسي وطلب لنا « زنجبيل » ، ورأى عبد المقصود أفندي أن يوفر على مؤونة بدء الحديث ، فالتفت إلى القاضي الشرعي وقال :

— البك وكيل النيابة ، غرضه بطلب من فضيلتك ...

فأجاب القاضي سريماً في شيء من القلق :  
— خير إن شاء الله . طلب خصوصي أو ...  
وذكرتني هيأته وقاقه بقصة عنه قصها علي المأمور . قال لي يوماً إن المدير اقترح تحسينا لمظهر المركز وصراغة للصحة العامة إنشاء منتزه في وسط البلد ، وقد تبرع بمض الأعيان بما استطاعوا التبرع به من مالهم ، وبلغ القاضي الشرعي ذلك ؛ فذهب إلى المأمور وسفه له هذا المشروع واقترح أن يقام بدل المنتزه مسجد لعبادة الله ، وحض الناس على التقوى والصلاح ، فأمن المأمور الحديث على كلام القاضي وتحمس لرأيه أعظم التحمس ، وقال له :

— لا بد من عرض اقتراح المسجد على سمادة المدير ، وأنا متأكد أنه موافق مقدماً ، وزيادة في ادخال السرور على قلب سمادته نكتب اسم فضيلتك في رأس قاعة التبرعات ، باعتبار أنك متبرع بمبلغ خمسة جنبهات . وقد ذكر لي المأمور أنه لم يكذب لفظ هذا المبلغ حتى اصفر وجهه القاضي ولم يجسد ما يقول ولم يستطع أن يسحب اقتراحه وظهر عليه الضيق والخرج ، وقد كان المأمور يتوقع ذلك على الرغم من علمه بيسر القاضي وبسطة حاله . وهذا اليسر لا يبدو على حياته فهو يقطن في شبه حجرتين ، وبكفيه من الطعام قليل من الجبن مع خلتين وبلحيتين . وقد زاره

الكتاب من شيء» فأسكتني الحاضرون فسكت تأدباً لوجود سماعة المدير ولولا هذا ما سكت ورب الكعبة ، ثم استمر هذا الأفندي في كلام لا هو بالمعقول ولا بالمنقول إلى أن قال إن عالمه النصراني قد استطاع بمعادلات جبرية أن يزن الأرض والسماء ! فما تمالك نفسي ونهضت وأنا أنتفض وصحت به : « مهلاً يا حضرة الأفندي مهلاً ، أخبرنا قبل كل شيء ، هل هذا العالم ( شنتون ) وزن السموات والأرض بالكروسي أو بدون الكروسي ؟ ... » فارتبك المدرس ونظر إلى قائلنا : « كروسي إيه ؟ » فرددت عليه بالآية الشريفة : « وسع كرسيه السموات والأرض ... » أجب أيها المدرس الأفك ، ها هنا الحاصل والجوهر ، الوزن كان بالكروسي أو بغير الكروسي ؟ ...

فكتمت ضحكي وقلت في هيئة الجد :  
— وأخيراً ... ؟

— وأخيراً يا سيدي ... لا شيء ، لم يستطع المحاضر أن يجيب ، واحتج وانسحب ، وضح الحاضرون واختلط الحابل بالنابل ، وغضب مني سماعة المدير واعتبرها إهانة لمجاسه ، وترك الناس المحاضرة وهي المسألة الأصلية والتفتوا إلى اعتدائي على مقام المدير وهي مسألة فرعية ، وتكاثروا عليّ يطالبون إلى الاعتذار ، فاعتذرت ، ولكن مع ذلك أشعر أن من يومها والباشا المدير لا ينظر إليّ بعين الرضا ...

وسكت قليلاً ثم قال في لهجة أخرى :

— بمناسبة الحالة السياسية اليوم . أظن الوزارة الجديدة ستجرى حركة تغيير وتبديل بين المديرين ورجال الإدارة كالمعتاد ؟

فلم أكده أفتح في لأجيب حتى دخل الفراش وهو نصف شيخ . أعني أنه يلبس العمامة على جلباب

— يا شيخ حسنين . استعجل لنا الفراش ثم صمت قليلاً . وعاد خيائنا :  
— أهلاً ومهلاً . . . حصل لنا الشرف . . . ورأى عبد القصود أفندي أن يبدى لي صلته بالقاضي ومعرفة له فأشار إليه والتفت إليّ قائلاً :  
— فضيلته من كبار العلماء الراسخين في العلم ووجه الكلام للقاضي :  
— أنا يا فضيلة القاضي لا أنسى يوم المحاضرة لما رددت على الولد المدرس . . . فقاطعه القاضي مستغفراً مستعيداً :  
— أخزاه الله . أنا لا أطيق الصبر على الكفر والجهل . والتفت القاضي إليّ وقال :  
— تصور يا سيدي البك أن هذا الأفندي مدرس جغرافيا في المدرسة الثانوية ألقى فيها محاضرة علانية عن عالم نصراني اسمه « شنتون » قال إنه قد عرف بالضبط وزن الأرض والسماء . . . استغفر الله العظيم . . . وتأملت قليلاً في الاسم الذي نطقه القاضي . واهتديت آخر الأمر إلى أن المقصود به العالم الرياضي « ايتشتين » ، ولذا لي أن أعرف ماجرى ، فهذا من غير شك صراع بين عقليتين واصطدام بين رأسين يحلوان لثلى دائماً أن يشاهده ويقف على مداه ، فقلت للقاضي في شيء من الاهتمام :

— وحضرت المحاضرة يا فضيلة الشيخ ؟

— حضرت والأمر لله من قبل ومن بعد

— وماذا حصل ؟

— حصل يا سيدي أن هذا المدرس قام وقال في حضرة الباشا المدير وكبار الموظفين والأعيان إن هذا العالم الكافر قد أتى بما لم يأت به الأوائل والأواخر ، فقممت وصحت به : « كذاب يا حضرة المدرس ، لقد قال الله في كتابه العزيز : ما فرطنا في

نخرجوا جميعاً . وعاد إلى الأمور يتنفس الصعداء .  
ويقول في صوت متعب :

— بقي لي يومين بليتين في القرف ده  
وأردت أن أداعبه وأخيفه قليلاً فقلت :  
— لكن انت يا حضرة الأمور معروف عنك  
انك من حزب الوزارة السابقة  
فقال لي على الفور :

— اسكت اعمل معروف . أنا طول عمري مع  
الوزارة الجديدة بقلي ، واللى في القاب في القاب ؛  
والأعمال بالنيات  
فابتسمت وقالت له :

— نترك السياسة ونسكلم في الشغل  
وأخبرته بنتيجة فحص الجثة ووجود المظلم  
اللامى مكسوراً ، وضرورة البحث عن المجرم في  
جناية الخنق الجديدة . وطلبت إليه أن يوجه عنايته  
لمساعدتنا في الكشف عن الفاعل . فقال في الحال :  
— المركز مش فاضى للخنق والحرق  
— عجيب . انتم اكم شغل غير المحافظة على  
الأمن ؟

— يبنى حضرتك مش فاهم ....  
— لا مش فاهم ....  
— نترك الانتخابات وملتفت للقتل والخنق ؟ ...  
— طبعاً  
— ما عنديش أوامر بالكلام ده

وتركني وجعل يبعث بقيود حديدية وسلاسل  
معلقة على حائطه . وغمرني عبدالمقصود أفندى كي أغاني  
هذا الموضوع . وأراد أن يغير مجرى الحديث فقال :  
— البك الأمور يسمح بطلب دفاتر السجن ...  
وشعرت أن كرامة عملي في خطر فصحت قائلاً :

عادي قدر كجلايب الفلاحين ، وهو عادي القدمين .  
وقدم لنا فنجانين من طرزين مختلفين قد كسر  
مقبضاهما . فشربت في احتراس وأنا أنظر الى داخل  
الفتجان خشية أن يكون فيه بدل السكر صرصار .  
وفرغنا من الحديث والزنجبيل وبدأنا العمل . وطالب  
القاضي أوراقاً بخط موظفيه ضاهينها بخط البلاغ  
فلم نجد مشابهة . وعرضنا البلاغ على من في المحكمة  
لعمل أحداً يذكر لنا أنه يعرف صاحب هذا الخط  
فلم نظفر بطائل . وخرجنا من المحكمة كما دخلنا .  
ومشيناً في طريقنا الى دار النيابة . فقال عبدالمقصود  
أفندى :

— نمر بالرة نفتش سجن المركز ونخلص  
فلم أبدأ اعتراضاً . وذهبنا الى المركز فوجدنا  
الأمور قد جمع بمض الممد في حجرته وجعل يشرح  
لهم وجهة النظر الجديدة ويصدر إليهم تعليماته بنفس  
الحاسة التي كان يبيدها في مبدئه تولى الوزارة الساقفة .  
فما إن رآني وعلم بالعرض من زيارتي حتى خف  
لاستقبالي وأجلسني في صدر حجرته . وفض مجلسه  
وهو يشيع الممد الى الباب قائلاً :

— فتج عينك يا عمدة أنت وهو . مرشح  
الحكومة في الانتخاب لازم ينجح ، أنا نفقت يدي  
وأنتم أحرار . مفهوم ؟ ...  
فأجابوا في صوت واحد :

— مفهوم يا حضرة البك  
وتردد أحدهم وقال :  
— فيه يا جناب البك جماعة مشاغبين أقويا  
كلهم مسموعة من المائلة الثانية الكبيرة ...  
فدفع الأمور في كنفه دفعاً وقال له :  
— الشاغبين على أنا ... تفضل

- لابد من أني أفشش بنفسى السجن والمركز كله .  
ونهبضت فى قوة وعزيمة أزعجت الأمور .  
فتردد ثم قال فى رفق :  
— تفضل . السجن تحت أمرك . . . انتظر  
سماعتك دقيقة واحدة  
وخرج سريماً من الحجرة وهو ينادى :  
— يا شاويش عبد النبي . . .  
واختفى عن نظارى . ودفعنى دافع الى النظار  
من نافذة للحجرة تطل على فناء المركز . فرأيت  
المأمور والجاويش يسرعان الى سجن المركز ويقتحانه  
ويخرجان منه أشخاصاً تدل هيأتهم على أنهم من  
أهالى النواحي ذوى الرخاء ويزجان بهم فى حجرة  
النبن والاماف ويغاقان عليهم بابها بالفتاح . فقلت  
لعبد المقصود أفندى :  
— تعال وطل بعينك ده ولا سجن الباسقيل .
- المأمور أحنى بفض الأهالى فى أودة النبن  
فقال لى عبد المقصود فى شيء من التوسل :  
— يا بك ، الوقت بطل ، والسياسة من حكمة  
فى البلد ، ما فيش داعى للتدقيق . . .  
— يعنى نترك الناس فى الحبس من غير جرم ؟ . . .  
— يا سمادة البك ، رئيس المأمور هو وزير  
الداخلية ورئيس الوزراء فى الوقت نفسه ، أما رئيسنا  
فهو وزير الحقانية فقط ، وقد سبق أن قضاة  
وكلاء نيابة وقفوا للإدارة فى ظروف سياسية  
موافق من هذا القبيل قاموا نقلوهم الصعيد !  
— يعنى نغضى على دفاتر المركز ونسكت ؟ . . .  
— يا سيدنا البك ، إحنا حانكون أحسن من  
مين . . . كان غيرنا أشرط . . .  
— طيب ، قم استمعجل لنا الدفاتر والسلام . . .  
نوفير الحكيم ( يتبع )

## بواخر

### شركة مصر للملاحة البحرية

#### لماذا يفضلها الناس ؟

لأنها تفوق غيرها بدقة النظام وجودة الطعام

ولأن جميع أسباب الراحة متوفرة فيها

ولأنها قطعة من مصر

ولأنها بواخر شركة مصرية صميمة



كانت شجرة التوت الكبيرة التي تقوم على رأس حقلنا منذ عشرات السنين مقلنا من حر الصيف ، نأوى إليها إذا اشتد القيظ فنقضى النهار في ظلها الوارف السابغ ، ولا نمود إلى القرية إلا في ضوء القمر أو في لمح الشفق . كان ذلك دأبنا طيلة عطلة الصيف لا نعمل هذه الدوحة ، بل لا نطبق أن

ينصرم أسبوع دون أن نقضى يوماً إلى جانبها ؛ هنالك حيث كنا ننعم بذلك الهواء الطرى الرخى الذى تستروح النفوس نسائه في أثمر الحر ولا تصيبه إلا في ظل سرحة فيضائه كتلك السرحة ، امتد من حولها الفضاء وانبسطت الأرض على قيد خطوات من تلك الشجرة الوارفة الظل بجري



من اللين منذ ثلاثين عاماً أو تزيد ؛ بنعقد على رأسه سجاجف قصير من تلك الأقراص التي يتخذها الفلاحون من روث الماشية ، كأنما أريد به أن يزيد هامته بعض الطول ، أو يكسب جبهته شيئاً من الزينة . ولقد عبثت يد الزمن بتلك الأقراص فتآكلت جوانبها ، وبذلك الجهة الضيقة فتشققت حتى لتبدو شقوقها كأنها الفضون في رأس جلله الشيب وجمدته السنون . على أن ذلك الكوخ على ضمته كانت تفيض عليه بساطة من الروح والهدوء تجمل الأقدسة تهوى إليه ، وتصبو إلى الميضة القريرة الساكنة في جواره

في ذلك الكوخ الضيق يسكن (طبيب) البدوى

وامراته ، وابناها حنظل وراغب ، وبناتهما شرود ، وعز ، وشماء ، على أنهم لا يقضون تحت سقفه إلا ليالي الشتاء ؛ أما في النهار فاهم مضطرب واسع ومتنفس فسيح في ذلك الفضاء المحيط بهم ؛ وأما في الصيف فلم يكن ثمة من سقف يملوهم سوى تلك القبة الزرقاء تزينا مصابيحها اللامعة المتناثرة

ترعة من تلك الترع الكبيرة التي تنساب في الدلتا زاخرة في الصيف بذلك الفيض الذى يحمله النهر العظيم من تلال الحبشة فيملأ به الترع والقدرا ن فتجيش في أحياء الوادى بالقوة وتفيض على أرضه الخصب والرى وعلى مقربة من تلك الشجرة تقع المين على كوخ متواضع ، يستقبل الشمس إذا طلعت ، أقيم

أو ينيرها القمر المتلألئ الوضاح

كان شيخ العرب وهذا هو اسمه الذي اعتادته  
الأسان بقوم على حراسة « الوابور » القائم إلى  
جوار كوخه ، في بناء لم يتخذ من اللبن كما اتخذ  
الكوخ ، بل من الآجر المتين ؛ وكان شيخ العرب  
من أولئك الأعراب الذين ينتجعون الرزق في قرى  
مصر ، فلما جرى بذلك « الوابور » أقیم على حراسته  
بأجر معين . وهو إلى ذلك يرعى الأغنام ويتخذ  
من أصوافها ومن لبنها أناناً وطعاماً ، كما يصيب من  
بيع صغارها بعض المال

\*\*\*

حللنا ذات صباح ذلك المقليل الحبيب تحت  
هاتيك الشجرة ولم يبد من الشمس إلا نصف  
وجهها ، فأخذ بعض الرفاق من بنى العم يبحثون  
فيما ألقينا على الأرض من متاع ليهيئوا لنا الطعام  
وقد أحسنا الجوع بعد سير ساعة ، ونحلقنا على  
حصير حول الطعام ، فأكلنا في شهية كادت تصل  
إلى الشره ، وكانت نفوس الرفاق جميعاً تفيض بالرح  
والبهجة ، يزيدهم انتعاشاً نسيم الصباح الجميل الواني ،  
كما كان كل شيء حولنا ينبىء بأننا سنقضى يوماً  
سعيداً

وأقبل شيخ العرب ، وكان قد ذهب مبكراً في  
بعض شأنه إلى غربة على بك وهي تقع غير بعيد على  
الضفة الأخرى للترعة ؛ ودعواناه إلى الطعام فأصاب  
منه يسيراً . ولما فرغنا انصرف الرفاق إلى ما اعتادوا  
من لهو ، فبعضهم ذهب بصيد السمك ، وتأهب  
البعض للعب النرد ، وكانوا قد جاءوا معهم بصندوقه ،  
وبسط البعض كومة من التراب ثم خططوها  
وهيأوها للعب « السيجة » . أما شيخ العرب فقد  
أسند ظهره إلى جذع الشجرة وجلس يدخن وهو

مطرق كأن به عماء . وجلس إلى جانبه أحاده وأدابعه  
كما دق ، فسألته استبطان دخيلة نفسه :

— ما حال إبراهيم اليوم يا شيخ العرب ؟

— ما زال على حاله من الغضب والعنف ،  
لا يسكت لسانه ، ولا تهدأ ثورته . يهدد ويتوعد ،  
ويقسم الإيعان على تنفيذ ما اعتزم ، على الرغم من  
نصحنا له وزجرنا إياه

\*\*\*

كان إبراهيم هذا شريكاً لشيخ العرب في بعض  
غلماته ، توشجت بينهما أسباب المودة ، وتوثقت  
روابط الألفة ، وأحبه شيخ العرب حباً شديداً  
ولا سيما بعد أن خطب إليه ابنته عز . كان فتى في  
نهاية العقد الثالث من سنى عمره ، طويل القامة في  
غير إمراف ، ريان البدن في غير امتلاء ، مفتول  
العضل ، وسيم الحيا ، يرف في مقدمة فوديه وشم  
عصفورين باسطي الجناح ، تزداد زرقة لونهما وضوحاً  
في تلك الحمرة التي أشرب بها وجهه الوضىء الأبلج .  
تلمح نبل نفسه في عينيه الواسعتين الجليتين اللتين  
كانتا مضرب المثل في حدة البصر ، وتبين قوة  
عزمه وإباء طبعه في أنفه الطويل الأثمن وشاربه  
المرهف المبروم ، كما تلمس صرامته وجراة قلبه في  
سداد نظراته ولهجة حديثه وإشارة يديه . ينظر إليه  
النساء والبنات نظرة الصباية والاعجاب ، ويرمقه  
الرجال معجبين بفتوته وخفة حركته وروعة قوامه ؛  
وهو إلى ذلك ماهر اليد ذكي الفؤاد في كل ما يطلب  
إليه من عمل ؛ يغزل الصوف في سرعة عجيبة وإتقان  
مدهش ، وينسج رقعاً جميلة النقش بهيجة الألوان ،  
خبير بالنماذج غير الجيدة منها لأول نظرة ، خبير بما  
يصيب الغلات من علال ، بصير بما يلزمها من علاج  
أو جيرة ؛ يقظ في السوق لا يخدع في شراء ولا

إليها بصره الحديد ! ولا تنسى هي إذا خرجت  
ترعى الغنم في متوع النهار أن تلف خصرها الدقيق  
بجزائها الأحمر الذي غزله بنانه ونسجته كفه ،  
ولا تحمل معها غير ذلك العود من شجر اللوز الذي  
أهداه إبراهيم يوماً إلى أبيها . وهو يتبعها ببصره  
أينما أنجحت ، حتى إذا اشتد وهج الظهيرة أوبا إلى  
شجرة فجاسا يطعمان مما حملا معهما من زاد

\*\*\*

كان من أبهج الأيام عندنا أن يكون معنا  
إبراهيم ، إذ كان يتيح لنا لعبه السيجة مع شيخ  
العرب فرجة ممتعة ، كما كنا نطالب إليه بعض  
الواويل فنصفي إلى حديث قلبه وخاجات نفسه  
يفيض بها لحنه الفتى ، ويرسلها في الفضاء صوته  
القوى ، ولكننا لم نجد هناك تلك المرة ، كالم  
نجد في المرة السالفة

كان آخر مرة لقيته نائراً لا يقر ، مفيظاً محنقاً  
كأنه في نوره النمر المزجر المحتاج ، وقد اختفى فيه  
ذلك الانسان الباش الرزين . ففرز من مكانه كالسهم  
إذا انطلق فواجه أخته وكانت لدى باب الكوخ  
تتحدث إلى عز ، فحماق برهة في وجهها الذي  
سرت فيه صفرة كأنها صفرة الموت ، ثم بصق في  
هذا الوجه وهو يكاد يتميز من الغيظ ! يحبس  
لسانه لكيلا ينطق أمامنا بما لا يابق من خش  
القول ، وهو يحرق الأرم ، وينبث من عينيه  
بريق الشر والمقت ، ولولا نظرة ملامة من عز  
خفت حدته وردت وثبته لحطم بيديه رأس أخته  
التي كانت تنفض أمامه انتفاض المصفور باغته  
الصقر ، أو الصبي صور له خياله أنه يبين يدي  
شيطان ! ثم التقط عصاه وأخذ سبيله مبتعداً عنا  
دون تحية أو التفاتة ، وهو يتوعد ويؤكد الأيمان

بغنى في بيع ؛ يشارك الفلاحين في أعمالهم وهو  
ذلك الراعي فيحملهم على الإعجاب به والاعتراف له  
بالتفوق ، فخطوطه في زراعة القطن كأنها ضربت  
على خيط ، وآراؤه في السباد والبزور وأوقات الزرع  
والحصاد آراء الخبير المحرب ؛ هذا إلى ذهن فطن ،  
وعقل مبتكر ، يفهم ما يلقى إليه أول مرة في سرعة  
ويسر ؛ وراه إلى جانب ذلك كله المقدم التفوق في  
اللهو واللعب ؛ ينازل الرفاق في لعبة السيجة فيظهر  
عليهم ويسخر منهم ويلعب « الخطب » فلا تخطىء  
يده ولا تسكل عصاه ، وبغنى في الأرغول أماشيد  
حماسية تبعث في قلوب خلانه الطرب والقوة

تمثل له في عز طيف أحلامه وصورة خياله  
فأسلم لها قلبه وأساس قياده ؛ يرى فيها ما لا تراه  
عيناه في غيرها من بنات العرب ، فحياها الجليل  
الصباح فتنة ناظره ، وعيناها الضاحكتان الدماخاوان  
بهجة فؤاده ، وقواها المرفف الرشيق متممة روحه ،  
وحبها الذي تسكبه على قلبه في حرارة وقوة هناة  
نفسه ونعيم حياته . يرى في أتران خطواتها وسرعة  
التفاتاتها صورة من نزوع نفسه وتوئب همته ،  
ويحس في حذقها ومهارة كفها ظلاً من مهارته  
وكفائته ، ثم يرى في رفق حديثها وهدهوء طبيعتها  
ما يعوزها من رفق وهدهوء ، وما تنوق إليه نفسه  
من سكينته واطمئنانه . على أن أهم ما يسمو بها في  
عينه طهرها الذي جمعت به بين بأس الرجال ونمومة  
الأبكار ، والذي جعلها كالورد في أعلى الفصن  
تأخذها العين قبل غيرها ولكن يحول دون الوصول  
إليها علوها أولاً ، ثم ما يحيط بها هناك من أشواك  
يرعى غنائه في الأرض الفضاء ؛ فيراها عن  
بعد وسط غناتها وحدها أو صعبة حظل أو مع أمها  
أو إحدى شقيقتيها فيعرفها قلبه ، قبل أن ينفذ

الزينة ، وتبالغ في التبرج ؛ فقد ماها الصغيرتان ناءلتان أبدا ؛ وترى نعلها الأصفر الدقيق نظيفاً كأنه لم يمس الأرض ، ومن نطاقها الأحمر المحبوك حول خصرها تتدلى على مرطها الأسود اللامع خيوط مختلفة الطول مشكلة الألوان تنتهي بذلال تلو وتمشط وتمايل بمنة وسرة كلما خطت خطوة أو حانت منها التفاتة . وفي صغيرتها شريطان ساطعا اللون معقودان ولكنهما لا يستقران على رديهما في موضع ؛ أما شتوفها وأقراطها وخواتمها وخالخالها فلم تقتنع في اقتنائها بما دون الفضة . وتراها في مشيتها كالطبية تبث في الحقول من حولها السحر والجمال ، فإذا تغنت أو ضحكت أطلقت نفسها على مسجيتها فلأنك حدة نبراتها وحلاوة صوتها نشوة وفتنة ، وحمك فيض مرحها على مشاركتها ولو كنت ضائقا بهمك

ولكن الفتيان والرجال لا يذكرونها إلا في تناقض وهمس ، وتراهم إذا جاء حديثها يتبادلون نظرات الخبث ، ويتناولون عبارات اللغو ، وترى كلا منهم وقد تشككت أساربه بما يحول في نفسه واختلجت عيناه بما نعى إليه أخيراً من أمرها

\*\*\*

راح شيخ العرب يقص على من حديث إبراهيم وأما مصغ بسمى اليه ، مقبل بحوامسى عليه قل :  
— أرايت ما كان من ثورته غداة كانت سكينته

هنا تمر الى عز بعض حديثها ؟

— رأيت ذلك فخيرني وأزعجني

— إذآلو علمت ما كان بينه وبين زوجها شبل

وما دب بينهما من شجناء وبغضاء ...

قال ذلك وأطرق كمن يشغل رأسه هم فاستفهمته ماحدث ، فأخبرني أن الرجلين يتربص كلاهما بالآخر

وظلت أخته في مكانها لدى الباب واجهة أول الأمر ثم ما لبثت أن عاودها هدوؤها ، وانبسبت أساريرها كأن لم يكن هناك شيء ؟ ولعلها أرادت بذلك السكون أن تتظاهر أمامنا أن الأمر هين وأن ما يفضب أحاسها لا يستحق كل هاتيك الثورة ؛ بيد أنه لم يكن سكوتاً متكلفاً يحجب وراءه اضطراباً أو إشفاقاً ، فلقد هالتنا في عينيها نظرات جريئة غريبة ، نظرات من يحس أنه في موقف العار والخزي ولكنه لا يستشعر ذلك الخزي ، ولا يرى مكان الخجل من عيائه إلا التبجح البامم الذي يدل على أنه يحس كل شيء ولكنه لا يبالي بشيء

\*\*\*

كانت « سكينته » وهذا هو اسمها فارحة الجمال رائحة المحاسن ، لطيفة التكوين تحس هذا الجمال وتدرك بغير زتها مدى أثره في نفوس الفتيان والرجال فتعمن في الدلال وتسرف في إبداء زينتها ، وليس أحب إلى نفسها من أن ترى ما يفعل جمالها بقلوب الشباب ؛ لها عينان هما السحر أو يقصر عنهما السحر ضاحكتان أبداً ، ساطعتان كأنهما نجمتان جريئتان وعجاوان نصوصهما الى القلوب ولا تستردهما من حياء كما تفعل النسوة ، كأنما تريد أن تجهز على صرعاها ؛ وما استطاع فتى لمح عينك العيين مرة أن ينسى سحرها أبداً . هذا الى جبين صقيل وخذ أسيل يبدو مشبعاً بالجرمة مع ما يحسه من سفع الشمس ، وفم يرف كما ترف الزهرة في ندى الصباح يحتاج عليه البسات ، ويتقسم بينه وبين عينيها النظرات ، وأنف لطيف دقيق إذا تغير قيد شعرة عما هو عليه فلان يوانم تلك القسمات وهي لا تقتنع بما أسبغته عليها يد الطبيعة من حسن فتراها تعمن في

يريد أن يقتله ، وأن الأمر وصل بينهما إلى مثل ذلك  
التحرج والعدوان ، فقد حدث أن لطم إبراهيم  
زوج أخته أمام جماعة الفلاحين من أقرانه في غربة  
على بك ثم راح يكيل له السباب المقذع الذي يستفز  
الجبان ، ثم اختفت من غم شبل عشر نعجات ،  
ووجدت إحدى بقرنيه ميتة والأخرى بين الموت  
والحياة ؛ والناس جميعاً موقنون أنه ما فعل هذا غير  
إبراهيم بعد أن تهامس أهل الغربة بما شاع عن  
سيرة أخته ، وهو مصمم إذا أراد ، جرى إذا  
انتوى ، عات إذا نفذ ، ليس في الغربة كلها من يخرج  
على سطوة على بك ويستخف بسلطانه سواء . على  
أنه اليوم لا يرى شبلاً كفاً لخصومته ، بل إنه  
لينظر إلى من هو أعظم وأسمى ، ينظر إلى على بك  
نفسه ويرى فيه غريمه وعدوه الألد . أو ليس  
يعطف اليوم على شبل المطف كله ، ويمد به يده  
ويعفيه من مشاق الأعمال ؟ وكيف يصبر إبراهيم  
بعد أن يتبين أن البك إنما يفعل ذلك كله من أجل  
سكينة وعيني سكينة ؟ كيف يطيق إبراهيم أن يلقى  
الناس ويحتفظ بينهم بمكانته وهو اليوم يتبعه  
الفضيحة أينما سار ، ويأتيه العار من كل مكان ،  
ويلقاه الخزي ألى حل

\*\*\*

كان على بك من أرباب الضياع ، يتحدث الناس  
بما كان لجده من ثراء وجاه ؛ ولقد تقاسم بنوه من  
بعده هذا الثراء الضخم وذلك الجاه المريض  
فانتهى إلى على بك بن حسن بك منه جانب كبير ؛  
ولكن أخلاق جده انتهت إليه كاملة ، فهو شديد  
الكبرياء عظيم الأنفة غليظ القلب ، ينظر إلى  
أهل غريته جميعاً نظراته إلى عبيده وإمائه لا يهمه  
إلا أن يشبع بطنه ويملاً جيوبه ، عاش من

حوله أو هلكوا ! بخيل شديد الحرص ، بحاسب  
ناظر زراعته على المليم حسابه إياه على الجنيه ، لا يذكر  
حسنة ولا ينسى إساءة ، يقيم نفوذه على البطش  
والجور ، عسوف عنوف لا تأخذه رافة بأحد ، لأنه  
يرى الرافة ضعفاً لا يليق بمثله ؛ لا يمدل نبوغه في  
جمع المال من شتى الوجوه إلا بهارته في إحكام  
الدسائس وتدبير وسائل الكيد ؛ على أنه في اشباع  
شهواته قد فات كل نبوغ وتعدى كل حد ، حتى  
ليتلاشى لقاء تلك الناحية فيه كل نبوغ آخر ؛  
وقل في الناس من تكون له مثل تلك القوة البهيمية  
التي لا تعرف كلالاً ولا تحس مللاً

رأى وهو على حمارة إلى غريته في ثلاثة من  
رجاله ذات صباح امرأة في ظل شجرة ، فكأنما  
تلاشت كبرياؤه بغتة . سأل رجاله في غير ترفع وفي  
غير حياء : من تكون تلك المرأة ؟ فأخبروه أنها  
سكينة الأعرابية فمجب كيف تكون في غريته  
ولا يعلم بها ! فأفهموه أنها زوجة «النفرة» الجديد  
شبل ، فسرت في وجهه أولاً أمارات الارتياح ، ثم  
علم أنها أخت إبراهيم الأعرابي فامتعض وانقبضت  
أساريره ؛ وبداله ، فاستعاد كبرياءه وراح بمان سخطه  
على وجود امرأة في طريقه دون حياء كأنما هان على  
الناس أمره ، واعتذر إليه أعوانه بشتى الماذير فهي  
أعرابية جاهلة ، وهي لا تعرف أن هذا طريق البك  
إلى مزارعه ، وهي أن تعود إلى ذلك بعد اليوم ، إلى  
غير ذلك من وجوه الاعتذار

على أن البك وإن تظاهر بالمرزة في الناس ،  
تهون عليه نفسه فيما بينه وبين نفسه . وسرعان  
ما تهافت على سكينة حتى صارت شغله الشاغل ،  
وسرعان ما صار لزوجها الخطوة والمال ؛ وقد عرفت  
الأعرابية الماكرة ناحية الضعف في هذا المتعاطف

المتجبر فأسلست إياه وحطت من كبريائه ، تدل عليه متى شاءت فان يستطيع قبض كفه عنها ، وتمكر به فلن يقوى على إرغامها ، وهى تقترب إليه مرة وتنفر منه مرة فلا تجد فى الحالتين إلا الخضوع والاستسلام من ذلك البك العانى ! وأى خضوع هذا الذى يجعله على الرغم من مكانته لا يتورع أن يتردد على كوخها بنفسه متخذاً من الليل ستاراً ؛ ذلك الكوخ الذى اختاره لها بالقرب من مسكنه غير عابى ، بما يقول الناس أو بما يقولون أما زوجها فقد تناقل عن هذا كله وتجاهله ، وحسبه ما يصيب من وراء ذلك من مال أو حظوة عند سيده ! وما كان هذا الضعيف ليملاء عيني زوجته المتبرجة الشرود . فهان عليها أمره منذ أن تزوجها ؛ وما مهمل له سبيل هذا الزواج سوى صداقته لآبراهيم منذ حدانتهما . ولقد رضيت به كارهة مرغمة ، ثم ما لبثت أن طرحته وراء ظهرها فلم ترع له حقاً أو قل لم تحس له وجوداً . ولقد ظلمه آبراهيم حقاً فيما انتقم به منه فما هو إلا أداة تافهة حقيرة ، لا يملك من أمره ولا من أمر زوجته شيئاً

\*\*\*

أفاض شيخ العرب واسترسل ، وما كان يمتنى إلا آبراهيم ، وقد عرفت الآن سر غضبه ، وبواعث ثورته . أيستطيع وهو فرد فقير أن يقاوم البك وله من الأعوان والجساء ما يقابل به بلده بأجمعها ؟ ورأى شيخ العرب فى حديثه إشفاقاً عليه ، وفى عيني لهفة لساع بقية خبره فقال : كثيراً ما طلبت إليه أن يأخذ حذره ، وألا يطلق لسانه بما لا يليق ، وعلى الأخص لأن خصمه ماضى البطش ، سريع الانتقام ، فظيع القدر ، لا ينجو من كيده عدو ، ولا يفر من حباله مسيء ، ولو كان

الشیطان نفسه ! ولكنه كان لا يفتأ يسب ويتوعد معلناً فى حدة أن الموت خير عنده من تحمل هذا العار ، وأنه إن تهاون فى عرضه فأولى به أن يلبس ملابس النساء ، ويتخلق بأخلاق النساء ؛ وكان يقسم لى أنه سوف يبدأ بذبحها كما تذبح الشاة ما واثته الفرصة لذلك ، ثم ينتقم من عشيقها أبشع انتقام مهما كانت سطوته ! يقول ذلك وصدره يعلو ويهبط كما يعلو موج التربة ويهبط ، والعرق يتصبب من جبينه ، والشر يلمع فى مقلتيه ، وأصابع يده مشدودة كأنما يريد أن ينشبهها فى فريسة مائلة ! وكان ينقر منا إذا زجرناه قائلاً إنه لا يهاب الموت بل إنه ليتعمناه ليريمه مما هو فيه ! وحتى عز ، عز نفسها ما كانت تجد سبيلاً إلى قلبه ، وكان ينهرها ويطلب إليها فى صرامة ألا تخوض فى هذا الأمر ، وإلا فإن تكون له بها صلة . وسكت شيخ العرب برهة ، ثم استأنف حديثه قائلاً : « تغير المسكين وكأنما حل محله شخص آخر ، فهو لا يهنا له طعام ولا يستقر جنبه فى مضجع ، وأصاب غماته الهزال لولا ما تحاول عز من عنايته بها . يحسب كل نظرة موجهة إليه إذا سار ، ويحال كل بسمة سخرية منه ، ويظن كل همس يدور حوله ، ولذلك تراه لا يغشى مجالس الرجال إلا نفراً من خاصائه يستمعين بهم فيما يدبر من أمور ! واليوم تكثر حوادث الحريق وتسميم الماشية فى العزبة ، فأشفق على هذا البائس ولسكنى لا أجد حيلة فى تسكينه أو صرفه عن وجهته ، وليس يكربنى ما أحاذره عليه بقدر ما يكربنى ما صارت إليه ابنتى من حال منكورة ؛ فقد غاضت بشاشتها ، وتغشى السقم فى جسمها القوى ، حتى بت أخشى أن أفقدها »

ثم خفت صوت الرجل ، ودنا منى ، وقال

كسحنة الحبشى ، بيد أنها كانت على الرغم من ذلك تمكس أشعة الشمس ، فيشتد بريقها حتى يخطف الأبصار

وانتهبنا على حين غفلة إلى الكلاب تجرى نابحة نحو التربة ، فالتجعت أبصارنا جميعاً إليها ، ولكننا لم نر غير الماء ينساب مسرعاً دافقاً ، وماهى إلا لحظة حتى رأينا حنظل يجرى نحو الضفة ومن ورأه راغب ، وما يشير إلى الماء ، وتبعتهما عن وهي تؤيدهما بقولها : إنها جنة آدمى وليست جيفة حيوان . وأمرعت إليهم أمهم فوقفت معهم ، ولكنها كانت تخالفهم قائلة : إنها جيفة حمار . وأمعنا النظر في الماء فرأينا شيئاً سابحاً ، يتحرك حركة غريبة ، هى حركة تدفق الموج ، ولم نتبينه أول الأمر إذ لم يكن يطفو منه فوق الماء إلا جزء يسير ؛ ولكننا استطعنا أن نرى كنتفاً آدمية عارية وجزءاً من الذراع ، ثم مالبت الرأس أن تبدي برهة ولكنه عاد فاخفى ، ثم برز الوجه وبرز إلا قليلاً والتيار يحمل الفريق مسرعاً فيبدو للعين من أجزاء جسمه ما يبدو حسب حركة الموج . ولقد أحزننا ذلك المنظر وروعنا ، ورأينا بعض الناس على الضفة الأخرى ، وكان الفريق أقرب إليها منا يرفمون أصابعهم بالتشهد ، كما رأينا بعض الغلمان يتجمعون ويجرؤن على الشط قبالة الجنة ؛ وكانما جمد شيخ العرب فى مكانه فلم يذهب إلى حيث كانت تقف زوجته وأولاده . وشمل الجو كله من حولنا رهبة شديدة وكآبة قابضة ، والفريق يجرى به الموج فيدخل فى ظل بعض الحشائش ، ثم يخرج منها إلى ضوء الشمس ثم رأينا خمسة من الرجال باتون مسرعين على الشط الذى كنا نقف عليه ، فساروا يتبعون الجنة

فى همس : « رأيت كيف يكون مبعث البلوى هؤلاء السادة ، ثم تبهموننا نحن الأعراب بأننا أصل الحوادث ، والحكومة تأخذ بما يقولون ولا تفكر أن تبحث أسباب تلك الحوادث ، أو تتبين بواعثها الخفية . . . »

وتوقف محدثى على نداء ابنه راغب :

— أبتاه !

— ماذا يا ولد ؟

— حنظل وعز وأبى والغنات ... هاك ...

هاك إيش ها تريد يا بوى ؟

— ما أبغى شىء يا ولد ... اسكت

ولما وصلت عز وأبى وأخوها من «سرحتم» إلى باب الحظيرة ، أشار شيخ العرب إلى ابنته فجاءت مسرعة وحيث فى طلاقة وهدوء ، وعلى وجهها مسحة من ههما الدفين ، وقال لها أبوها : « إكبرى النار يا بنت ، وهات الشاى » ، وأعطيناها بعض ما لدينا من الشاى فذهبت لعمله ، ثم جاءت أمها فحيت وجلست ، وجلس حنظل غير بعيد منا وفى يده مغزله وصوفه

وجاءت عز بالشاى ، فتشهدت أمها وهى تحمدهما حدج الاشفاق ، وقال لها أبوها وهو يخفى همه : « دبرى الشاى يا عز » ، وتناول كل منا من يدها قدحاً من تلك الأقداح الزجاجية ، ورحنا نحشى الشاى فى صمت

وكانت الشمس قد لآلأت صفحة الماء بأشعتها القوية التى كانت تبدو لأعيننا أعظم ضوء أو أشد وهجاً ونحن فى ظل الشجرة ، حتى لقد كان يصعب على بعضنا أن يدبم النظر لحظة إلى الماء ، وكان الماء يومئذ مثقلاً بذلك الغرين الذى يفهم به النهر الحبيب فى زمن فيضانه ، فكانت صفحة التربة

لبثت تنتظر وهي لا تدري من الفريق ، ولكن لم يطل انتظارها ، فقد عاد راغب مسرعاً وكأنه يحمل إليها نبأ سارا ؛ وقال في سداجة الأطفال وبرائتهم : « يا غز يا أختي إنه ابراهيم أخو سكيبة » صرخت الفتاة مذعورة للنبأ الفاجع ، ولكنها حتى في ذلك الموقف تداركت وجودنا فقطمت صرختها وهزولت نحو الكوخ ؛ وهناك أبصرناها تسقط لدى الباب مغشياً عليها ، فخرينا إليها ولكن عبتاً حاولنا أن نفعل شيئاً ، وأخذنا في أمرها من الارتباك ما يأخذ الرجال عادة في مثل ذلك الموقف . بيد أننا أسرعنا فأرسلنا من أحضر أباه وأمه ، فجلست الأم بذلك يديها ورجليها وقد ألقت رأسها على ركبتيها ، وأبعدنا نحن الرجل قسراً عن الكوخ وأجلسناه بيننا تحت الشجرة وبه ضعف ما بابنته ، ولم يفق حتى أفاقت من غاشيتها ، وكأنما عقد اليأس لسانها أو ذهب الهلع بابها فلم تقل شيئاً ، وكذلك انعقد لسان أبيها فلم يتحرك وهو بقباب كفيه في جزع لن يصفه كلام

وجلسنا نحن حوله وكأننا قوم اجتمعوا في مأتم فلا تتسائل إلا بالألحاظ ولا تتجواب إلا بالأياء . وسر الرجال بعد لحظة يحملون غريتهم على محفهم التي أعدوها ، يريدون أن يترعوا بجثته حتى يخفوا الحادث

قضينا يوماً كشيئاً ثقيلاً لم نستطع أن نكمله فعدنا إلى القرية في عصره ؛ وانقضى الأسبوع وحل موعد الذهاب إلى التربة ، ولكننا لم نذهب فقد علمنا قبل ذلك الموعد ببسلة أنه قد ألقى القبض على شيخ العرب فقد جاء ذكره في قضية مقتل على بك فاستدعى لسمع أقواله إذ قد حامت حوله بعض

الظن

الشبهات

ربما تجنح ، وفي وجوههم حسرة واهتمام شديد وكانوا يصيحون بقولهم : « البر البر يا طالب الدفن » ومن معتقداتهم أن الفريق يجنح إلى البر إذا صاح الأحياء أمامه بتلك العبارة

وليت شمري هل استمع الفريق إليهم حقاً ؟ فلقد أبصرناه يجنح إلى الشاطئ قليلاً قليلاً حتى أوشك أن يلامسه غير بعيد منا ، ولكني لم ألبث أن تبينت سير جنوحه ، فان انثناء التربة في ذلك المكان جعل الموج يرتد من الشاطئ الآخر إلى شاطئنا فوجه إليه الفريق شيئاً فشيئاً

وذهبتا وذهبت امرأة العربي وابناها لرؤية الفريق . أما شيخ العرب فلبث في مكانه برهة ، ثم قام فتجامل على نفسه وسار يحرق رجله ليلاحق بنا ، وهناك رأيناه وقد أخرجه الرجال ممدداً على الشاطئ وقد تمزقت ملابسه وتورم جسده : رأينا ابراهيم جثة هامدة ولا حظنا على فيه ضربة وفي عنقه أثر شجار عنيف ؛ وتجلد الرجال فصنعوا من عصيهم محفة ألغوه عليها وخاموا عليه بعض ملابسهم ووقفنا نحن مشدوهين أمام هذا المنظر وفينا من لم يستطع أن يحبس دمه على الأخص لرأى ذلك الشيخ الذي أذهله الرعب فتركه كالأصم أو المجنون وسرنا نحو الشجرة فرأينا غز وأخواتها في انتظار النبأ فما كان لهن أن يرين غريقاً ربما تعرى جسده . وهل كانت تستطيع غز أن ترى هذا الفريق ولو كانت على جسده من الثياب أطولها وأعرضها ؟ هل كانت تستطيع أن ترى خطيبتها وحبيب روحها ممدداً على الشاطئ جثة هامدة متورمة ؟ هل كانت تستطيع أن ترى ابراهيم وأصحابه من حوله مسحون دموعهم بأكفهم وهم من أشداء الرجال ؟



جمالها ، وإن كانت قد ناهزت الثلاثين ؛ فأومات إليه أن يتبعها وانطلق على أثرها إلى غرفة منزلة ؛ وقالت له بصوت متهدج صرعتش :  
— هلم فاخبرني الخبر وأوجز ما استطعت فان زوجي ينتظرنى

فوقع كلامها منه إذ لم يكن يعلم أن لها زوجاً .. وتخاذل من هول الصدمة ، وكاد ينقطع عن الكلام ، لولا أن رأى اضطرابها فعمّق الأمل عليه وقال لها :

— إن ضاق بك الوقت فان يتسع لى أن أخبرك بكل شيء فى هذه المرة ، ولكن حسبك أن تعلمى أنى قد خرجت من السجن ، وكان مأوى فى هذه السنوات العشر الطوال .. أوه ! أرجو ألا تنظرى إلى نظرة الاحتقار فإقد كنت أحسبك غير جاهلة أمسى وإن لم أكتب إليك ...

فطاشت نظراتها إليه بنظرات من الخوف والرعب ؛ ثم قالت له بصوت مرتجف :  
— وما شأنى فى كل هذا ؟

فأبأس ولم يدر كيف يقول ، وتسلط عليه صوته المذب فسلبه إرادته ، وكثيراً ما كان يسلبه ما يسبب ويهيج فيه ما يهيج ، ونهيه الصوت إلى وجودها ، ونهيه وجودها إلى ذكرى الأيام الماضية غنّ وأنّ واعتراه ما يعتري المحبين ، وجعل يلتمس

بينما كانت سيمون أربل تهم بالخروج من (الاستوديو) إذ كان لها عمل المثلة الأولى فى شريط سينمائى جديد ، اعترضها شاب أنكرته بما كان يغشى وجهه من الأصباغ والطلاء فلم تثبته ، ولكنه دنا منها وأمر إليها اسمه  
— شارل جيرو ...

فذهرت الفتاة وتراجعت كأن هذا الاسم قبض على قلبها فهى تريد الإفلات منه ، ولكن الرجل خطا إليها وقال فى مسكنة وذلة :

— أما إنك لم تعرفينى فغير عجيب ؛ فقد نصرمت عشر سنوات كاملة ، وفى دون هذا تنكر المرأة رجالها ... ولعلك تتساءلين ماذا جئت أفعل الآن بعد هذه الغيبة الطويلة ...؟ فاجئت إلا لآنى على العهد ومازلت أحبك

فأجابته : لملك جننت !...  
فجعل يرمقها فى ذهول ، ولم يصدق عينيه وأذنيه إذ لم يكن يتوقع أن يرى ويسمع ، وهو الذى نجشم فى سبيلها ولقى ما لقى من أجلاها ؛ ثم قال لها :

— أريد أن أنفرد بك فان لى حديثاً  
وكانت سيمون لا تزال كمهده بها وضيفة فائنة جذابة ، بارعة الشكل ، بديمة التكوين ، رقيقة الملامح ، عصبية المزاج ، لم تنل الأيام من

فغضت بصرها وهزت رأسها علامة النفي ،  
ولكنه مرّ في حديثه وقال :

— لقد دفع إليك صديقي « أدولف ملبان »  
في ذلك الوقت مبلغاً كبيراً من المال وزعم كما  
أوعزت إليه أنه من أحد أقاربك ... غير أنني  
كنت آمل أن ستدرकिन أنه مني

فبدت الدهشة على وجه سيمون وقالت :

— أدولف ملبان ... ! أدولف ملبان ... !  
— آه ... لعلك تذكرينه الآن . ؟ لقد كان  
صديقي الحميم فاستودعته المال ليسهل على الحرب .  
ألم يدفعه إليك ؟ أجيبني ...

وكانت ترمقه بنظرات غريبة فأخذ يدها بين  
يديه وجعل يشد عليها ولكنها انتزعها منه وفرت  
لا تلوى ، وثبت في مكانه لا يلحق بها

ثم عاد الى غرفته وفي نفسه الأمل ، فذلك  
الانفعال الذي بدا عليها لم يكن من غير شك ، إلا نتيجة  
هذه المقابلة . . . كلا . . . كلا إنه لن يهون عليها ومن  
أجلها سيجن عشر سنوات . . . ولكنه اغتم لزواجهما  
وداخله الشك في أمانة صديقه أن يكون قد ذهب  
بالمال ولم يؤدّه إليها ، فتدري ماذا فعلت المسكينه  
بعد اختفائه ؟

وتفتحت له الذاكرة وأطرق يفكر في الأيام  
الماضية . .

\*\*\*

كان شارل وسيمون من بلدة بورج فتمارفا  
وتحارباً منذ الصغر . وكانت أسرته غنية واسعة  
الغنى ، أما هي فكانت يتيمه لا مال لها . فلما أراد  
الزواج منها كبر ذلك على أهله وأبوا أن يقرّوه  
فرحل معها الى باريس وكان لها من العمر ثمانية  
عشر عاماً ، فأخذ يرتفق ببعض الأعمال ليكسب

الألفاظ فلا يجدها ، ولم يدر كيف يذكر لها أنه  
من أجلها سرق ومن أجلها قتل ...

لقد كانت كل ما فعل فما تعلم شيئاً الى الآن ،  
وبوده لو كانت تعلم ؛ إذن لأدركت عملها من  
نفسه فمسي أن يرتفع بذلك في عينيها وتعرف أي  
محب هو ... ؟ ولم يكن يرتاب في أن مجرد التقائهما  
يصله منها بما مضى ويستعيد إليه حناها القديم ،  
وإن يكن للحظ عمل فالحظ هو الذي هداه اليها  
ويسر عليه البحث عنها ، وجاء باسمها بين أسماء  
المثيلات في السبيل فما كان أسهل عليه بعد ذلك أن  
يعرف مقرها ... أفبعد هذا يخشى ويرتاب ويأس ؟  
وتعلم لسانه وغمغم قائلاً :

— أراك خائفة مني ... أو لا فهو الحذر  
وما يحق لك أن تحذري ممن يحيا بهواك ، فان  
كانت رؤيتي قد ساءت لك فمذرة ...

فبدا التأثير على وجه سيمون وكأنها ندمت  
على ما فرط منها ، وهاج شجونها منظر الرجل الذي  
طالما أحبتته ، وقد جاء يسألها هذا الحب مرة  
أخرى ، فقلبا قلبها وانفطرت الدموع من عينيها  
وتساءلت في حزن ورقة :

— لست أدري كيف يقدم شاب مثلك على  
فعل جزاؤه السجن ؟

فتجهّم جبينه وتساقطت الكلمات من فمه  
— لقد اضطرني البؤس والحب ...

فاحتجبت عليه قائلة :

— أهناك بؤس فوق ما تحمّلناه معاً ؟  
فلم يطق صبراً وصاح بها :

— ألم تدركي بعد أنني لم أقترن ما اقترفت إلا في  
سبيلك ولأنّ شاك من هذا الشقاء ؟ ألم تعلمي أن  
السعادة قد جاءتك في الوقت الذي اختفيت فيه ؟

عامل البنك وبتربص به الى أن سسحت الفرصة فانقض عليه ذات مساء في مكان منقطع فذس في فة خرقة مبللة (بالكلوروفورم) ثم احتوى ما في حقيبته من المال وتسأل الى منزل صديقه ولم يره أحد

ونقض خبره لصاحبه فأظهر له هذا من الاخلاص والعطف ما سكن إليه ؛ وقال في نفسه جريمة دون جريمة ، وسرقة أخف من قتل ...

ولكن جرائد الصباح ظهرت تحمل نبأ وفاة عامل البنك من فعل (الكلوروفورم) فارتاع شارل وأسقط في يده وأخذه الرعب . وتنصّح له صديقه فأشار عليه بأن لا يرجع الى باريس حذراً أن يتم عليه المال وقد عرفوه مملقاً ، ثم زين له السفر الى مدينة برن والبقاء فيها حتى ينسى الخبر وتطوى القضية

ورأى شارل أن هذا هو الرأى ، فعدّ ما سرقة فكان ثروة ... ثم عزّل منه القسم الأكبر ودفعه لصديقه على أن يحتفظه عنده أياماً ثم يؤديه لصاحبه سيمون أربل في باريس ويزعم لها أنه من أحد أقاربها . قال :

— فان شككت في الأمر فعليك بالصمت وقل لها المال هو المال ، وسوف تعلم منى ما لم تعلم منك ، وإذا نجوت فان أوبى إليها قريبة ، وإذا وقعت فاني متلف جميع أوراقى فلا يعرفون اسمى ولا يهتمون بي إليك

وتعانق الصديقان طويلاً ، وسافر شارل الى برن فأقام بها خمسة عشر يوماً وثق بعدها من نجاته فأزمع العودة الى باريس ؛ وما كاد بعزم حتى كبسه الشرطة وقبضوا عليه ، ولم يدر من أين دعى ١٠٠٠

ما يتباغان به . وكانت هذه حلة بصمة أشهر ، فما نقص من سعادة المال أتمته هي بوجودها ، الى أن جاء يوم أعوزته القوت ولم يجد عملاً فأصبحا ولا مأوى لهما يضربان في شوارع المدينة وبيتان في ضرائبها فلم يرُ بدا من الكتابة لأبيه يسأله المونة ، فأرسل إليه ما يكفي لتوفية دينه واقتياغ تذكرة العودة ؛ وهدده ان هو لم يرجع في الحال ان لا عوون ولا مساعدة ولا ميراث ... !

ولكن شارل لم يعبأ ولم يكثرث لوعيد أبيه وآثر البقاء مع سيمون والحب والفقر ؛ ثم سسحت له فكرة السفر الى جنيف ليستريح خالته الفنية قبل أن تنصّفر يده مما أرسله أبوه . وودعته سيمون على المحطة بعد أن تواعدا على اللقاء بعد أسبوع ... ولم يخطر لهما في تلك اللحظة أن اللقاء ان يكون الا بعد عشر ساعات كاملة ... !

ولما وصل شارل الى جنيف لقي خالته وسألها ان تقرضه مالاً يتسبّب فيه بالتجارة ولكن أباه كان قد أنهى إليها الخبر وحذرها ، فمستفته وردته ردّاً قبيحاً . فتارت ثأرتة وجن جنونه ، فماذا تفعل سيمون إذا نفذ القليل الذي تركه لها ؟ إنها بين موتين ، فاما ان تموت جوعاً أو هو الموت الأدبي للمرأة الحسناء ...

وأخذ يقلّب رأيه ويفكر في حله ، وكان قد اطّلع في الصحف على أخبار السطو على عمال البنوك ، فلم يده ففكره المضطرب الى خير من هذه الوسيلة ، وما ينفع العالم ولا يضره نقص اللصوص واحداً أو زادوا واحداً ...

وأعدّ عدته وترك منزل خالته بحجة الرجوع إلى باريس ، ثم أوى الى منزل صديقه أدولف مليون وكان طالباً في إحدى جامعات جنيف ؛ وأخذ يتأثر

الميسر وحلبات السباق ، وأصبح عالة عليها تطعمه وتكسوه ، وما تحب المرأة من تطعمه وتكسوه . وكان الى ذلك قليل الحزم كثير التسويف فقال لها وقد أشاح بوجهه عنها :

— ليس هذا بالرأى . . . فقد لا يعلم بزواجنا أبداً ؛ وما أحسبه إلا يائسا منك إذا أباسته ، فيدعك وشأنك . وكل ما يجب هو ألا يرانى فأجابته في ازدراء :

— إنك تخشى إذا هو علم بزواجنا أن يتهمك بأنك دلت عليه الشرطة وفضحت جريمته . . . فما زلت أتساءل كيف قبض عليه وقد كان آمنا ولم يأتمن أحد غيرك ؟

فبهت الرجل وقال لها وقد اختنق صوته — أفتظننى مهما كنت سافلاً أتسفل الى مثل هذه الدنيئة ؟ أتمتقدين ذلك يا سيمون ؟ فأجابته ببرود : ولم لا ؟

فصمق لكلامها وظل باهتا مشدوها ؛ وقامت هى الى الباب وألقت اليه وهى تخرج من الغرفة : — لا يدهشك أن ترانى فى أحضان شارل . . . فظل قابلاً متكديسا فى مكانه وقد طاش عقله ،

فهو ما زال يحب سيمون ، ويؤثر الموت على أن يفقدها ؛ ولكنه قال فى نفسه : « إن فى ذكرى الأيام السيئة التى قضتها مع شارل ما يحول بينها وبين شارل » ، ونسى هو الآخر أنها من النساء وصدق حدس الحبيب الأول ، فتمكن شارل مرة أخرى من مقابلة سيمون فى ( الاستديو ) والتحدث اليها ، وكانت تصدف عنه فى بادئ الأمر ، غير أن الحب المتأجج فى صدره نفى عنه اليأس بل هوّن عليه أمر زواجها وما يدرى بمن تزوجت . . . وقرّ فى نفسه أن صديقه لم يؤد اليها

وفعات البغثة فعلها فى نفس هذا المسكين فنلجأ ، وقرّ روه وجملوا يسردون أخبار جريمتهم عملاً عملاً وكلمة وكلمة فتضامع وأقرّ ؛ بيد أنه رآهم مجهولون اسمه ، فانتحل اسمها فأخذوه به وحكم عليه بالسجن عشر سنوات بالأشغال الشاقة ، وكانت الجرائد الفرنسية فى شغل عن مثل خبره باضطراب الحالة الدولية فى ذلك الوقت فلم تشر اليه ، وهكذا أخفى أمره وظل مجهولاً من أهله ومن سيمون ، فكان هذا عزاءه فى سجنه ، وهان عليه ما سوى الفضيحة عند من يحب . وأخذ يعلل النفس بأنه متى انحسرت هذه المحنة واتى سيمون وأفضى اليها بالخبر ازداد حظوة لديها فجزته وفاء بوفاء وإخلاصاً بإخلاص ؛ ونسى أنها من النساء . . .

ونصرت المدة وخرج من السجن فعلم بوفاء والديه وحرمانه ميراثهما ، ووقع له عنوان سيمون فى اعلانات الصحف فكان ما وجد أحب اليه مما فقد . وما هو ذا الآن يردد فى نفسه بعد أن قابلها « إنها ما زالت تحبني وإن أصبحت ذات بعل ، فان كان قلبها لى وحدى فهى لى وحدى ... »

\*\*\*

وجلس سيمون فى الوقت نفسه للمشاء مع زوجها أدولف ملبان بمنزلهما فى شارع كورسيل ، وكان زواجهما من عشر سنوات ، فجرى بينهما كلام قالت فيه :

— يجب عليك أن تطلع شارل على الحقيقة قبل أن يعرفها من غيرك فذلك أحرى أن يخفف وقعها عليه

وكان أدولف رجلاً بادئاً خامل الحركة ، لم يعمل عملاً منذ ورث الخيالة على سيمون بأرباحها الطائلة فهو متبطل يقضى أيامه فيما يزيدة خمولا بين دور

ومر اليوم طويلاً بطيئاً كأنه يمد دقائقه واحدة واحدة ؛ وكانت سيمون تلاحظ على زوجها القلق والاضطراب على ما يبدو من سكينة ، فأعجبها ذلك ، وابتمت ابتسامة خفية وقالت في نفسها : « إنه هو أيضاً يحبني ... »

وفرغت من عملها فأخذت تتحدث إلى بعض صديقاتها ؛ ثم عادت إلى منزلها فدخلت إلى حمامها وأطالت المسكث فيه ؛ ثم جمعت تزيين وتطيل في زينتها والوقت يمر لا ينتظر حتى إذا ما استقلت سيارتها كان قد فات الموعد الذي ضربته لشارل ، وانقضت ساعتان ...

فلما بلغت المنزل أبصرت بالقرب منه سيارة عرفت أنها لشارل وأنها أن تراها ...

ثم تقدمت إلى الباب الخارجي فلاح لها نور ضئيل ينبعث من إحدى الغرف تحت ظلام الليل الدامس ؛ ففتحت الباب وردته وراءها ثم دخلت إلى الغرفة المضيئة فوق بصرها على جسم ضخم منكفي على الأرض فندت منه في غير ذعر ولا دهشة ، وانحنى عليه تبتيته فاذا هو زوجها أودلف وقد تشحط قتيلاً في دمه ...

وأخذت تتمثل ما حدث فكانت القضية في خيالها أن الصديقين التقيا على فجأة فجر الكلام الكلام ، وعلم شارل أن أودلف هو صاحب المنزل وهو زوجها الذي خان عهده وخلفه عليها فطاشت الغيرة بمقله فقتله ، ثم هاله ما صنع واستبطأ قدومها فنجا بنفسه ...

وجعلت تتأمل الجنة وقد علت شفيتها ابتسامة شيطانية ، وقالت تحدث نفسها بصوت مسموع وقد أمنت أن يسمعها أحد :

— كنت أنساك : من سيقول منهما ... ؟

المال فاخترت حالها ، فذلك سبب زواجهما آثرته على السقوط ، وذلك فضيلة تسره ولا تحزنه ... ولم تقو سيمون على تيار هذا الحب الجارف فتفتش قلبها وباتت تنتظر صاحبها كل يوم على باب ( الاستديو ) فتصطحبه في سيارتها للتنزه في الغابة ...

وسألها شارل في أحد الأيام :

— أما تخشين أن يباغتنا زوجك ؟

فأجابت وعلى شفيتها ابتسامة ذات معنى :

— إن هذا لا يعني ألبتة

وكانت هذه هي المرة الواحدة التي جر فيها الحديث إلى زوجها ولم يسمح شارل لنفسه أن يسألها عن حياتها طوال هذه السنوات العشر وألهاها ما هو فيه وأصبح لا يفكر إلا في أمر حبهما ومستقبلهما فقال لها :

— أخبريني أن لك منزلاً ريفياً بضاحية سان جرمان وأنكم لا تنزلون به إلا في الصيف ، وعندى أنه أفضل مكان نختل فيه دون حذر ... فاستحسن رأيه واستمع له إلى أن تحتاط للأمر ثم يكون له ما يحب

وفي ذات يوم فاجأته بقولها :

— سأقوم هذا المساء بعمل التجربة الأخيرة للشريط السينمائي الجديد ، ولا ريب أن زوجي سينتبهز هذه الفرصة فيقضي الليلة في اليسر كدأه كلما غبت وبهذا يخلو وجهه .. فهناك مفتاح منزلنا الريفي واحرص على أن تكون هناك عند منتصف الليل فساؤافيك في هذه الساعة وقد انتهيت من عملي ؟

فأتم المفتاح ودسه في جيبه ، وما تسمه الدنيا مروراً وغبطة

فما هو ذا أدولف وقد استرحت منه بقتله كما استرحت من الآخر بالفرار

ثم دارت على عقبها وهمت تريد الخروج ، فانتفض جسمها إذ رأت شارل بالباب يقول لها وقد تكلم وجهه وانقلبت سحنته :  
— إذن كان أدولف صادقاً ؟

فامتقع لونُها بصفرة الموت ، وظهر في عينيها الرعب ، ولكنها تماسكت وصاحت بصوت مخنق :  
— أقتل زوجي ثم تتجراً ...

غير أنت شارل قطع عليها وقال في جفاء وخشونة :

— كيف علم هذا الرجل وكيف جاء إلى هنا ؟  
أجيبني من هذا الذي استدرجه ؟

فزاغ بصرها وتلجلج لسانها وتمتمت :  
— لست أدري ... لست أدري ... ! لعله حكم الاتفاق والمصادفة ... دعني أخرج من هنا وألا صرخت وجمت الناس عليك

فهرز كتفيه ورمأها بقهقهة منكرة افشعر لها جسمها ثم قال :

— اصرخي ما شئت فان يجديك ... فالمكان منعزل والقوم نيام ؛ وهي أحداً معك فأغاثك فانه سوف يقبض عليك بتهمة الاشتراك في الجريمة ... ألم تهربي مني من بورج قبل اثنتي عشرة سنة ؟ وبعد هذا ألت أنت أعطيني مفتاح المنزل ؟

فقال وقد انخذلت ووهنت قوتها وأحست الأرض تميد بها :

— لست أدري لم تخاطبني بهذه اللجة ؟  
— ذلك لأنك دخلت إلى هذه الغرفة وكل حركاتك تنم عن دخيلة نفسك الخبيثة ، فقد ظهر ليعني أنك كنت تتوقعين رؤية هذه الجثة هنا ...

ومن غيرك يبعث بهذه الرسالة إلى أدولف ؟  
ثم أخرج من جيبه خطاباً غفلاً من الامضاء فجعل يقرأه عليها :

— « إن كنت تريد أن ترى بعينيك خيانة زوجتك فاذهب الى منزلك الريفى عند منتصف الليل »

فتباهلت كأنها لا تفهم شيئاً ، ولكنه نظر إليها في ازدراء وقال :

— لا تحاولي الانكار فما تجددين دليلاً إلا قام

دليل ... ولقد فاجأني أدولف ، فلما رأيته بقتلي ، ولكني ظهرت عليه وانتزعت سلاحه ثم رميته بخيائنه فتهرباً منها وأكدلى أنه دفع إليك المال منذ عشر سنوات ، ولم تكن به ربية فعبثت به وأغريته وسلطت عليه هواك وفتنتك ورضيته عاشقاً ، ثم رضيت به زوجاً ؛ وعلمت منه كل ما جرى على لم يكتمك شيئاً ... وكان المسكين يمددني والجنون يطير في عقلي وتمثلت تسخرين في قتلته على غير وعي ... ألا فاخبريني الآن لماذا تجاهات وأنت عارفة ، وهل تلك إلا نية السوء وضميم الشر ؟

فسكنت هُنسيمة ثم تمتمت :

— كيف لي بالحجة وأنت لا تصدقني ؟

فاستأنف كلامه بصوت محموم :

— لقد كنت واثقة من قتل أحداً ، فابنلاق

عاشقان لامرأة واحدة في مخدعها إلا على جريمة ... ولا شك أن أدولف كان يعلم أني أنا الذي ينتظرك هنا في منتصف الليل ، وإن لم تذكر لي اسمي في خطابك ، فجاء على نية القتل ومعه سلاحه لأنه

كان يخشاني ... ولقد غررت بي وخدعتني بمحبك انتهت بي إلى هذا المصير قاتلاً أو مقتولاً ، وهل جئت بعد الموعد بساعتين إلا لتكون الجريمة قد

وقمت في هاتين الساعتين ؟ فان كنتُ أنا المقتول  
هددت زوجك فتخلصت منه ، وإن كنت  
القاتل أسلمتني إلى الموت إذا لم أفر ... ؟ ولماذا  
جئت ، وكان في استطاعتك ألا تجيئي لولا  
ما استحدثك من غرضك الحبيث لتتعي خطتك  
الجهنمية ... ؟ فلا تنسى أني قضيت عشر سنوات  
بين القنلة والمجرمين وعرفت كثيراً من ميوهم  
وطباعهم

ثم قطع حديثه وسكت لحظة وكأنما عاوده  
حبه وأخذته الرأفة بها ، فقال بصوت خافت :  
— اصنعي إلى ياسيمون ... لن أمسك بسوء إذا  
أنت أخبرتني ، لماذا أردت التخلص مني ومن أدولف ؟  
فأجابت سيمون وقد سكن اضطرابها وامت  
عينها ، وأخذت تضحك ضحكة جنونية :

— إن كنت تريد علم ذلك فاعلم أني أحب  
رجلاً ثالثاً ...

فتحرك قلبه وزادته رغبة فيها ، وقال وهو  
يفيض حناناً ورقة :

— وهل نسيت ياسيمون أيام حبنا وعهد  
شبابنا وأحلامنا ، وأنى في سبيلك عانيت ما عانيت ؟  
أست بهذا أحق بك من هذا الحبيب !

فكأنما طمئنها في قلبها ورأته متطفلاً على الحب  
وما كانت تُصانمه قبل ذلك إلا مكيدة وخداعاً ،  
فهاجها نوحها ، وقالت في ثورة من الغضب :

— ألم تدري بعد أيها الأحمق أنك أبغض الناس  
إلى ؟ وكيف تريد أن أنسى شؤمك على ،  
وما ابتليت به في معاشرتك من نكد وهم ، وفقر  
وتعاسة ؟ لقد استغويتني ففكرت معك إلى باريس  
وكنت صغيرة طائشة ، وأملت أن يوافق أهلك  
على زواجنا ، فخاب الأمل وذهبت الأمانى ،  
وبقيت أنت وما معك إلا نكد الحياة ، وفي أي

شيء أحبك وأنت صعلوك ، وأنت عاثر الجدد ،  
وأنت خامل مجهول ؟ أفتعجب بعد ذلك من وقوعي  
بسهولة في أحضان أدولف وقد جاءني بالمال والجاه ؟  
وما نسيت شؤمك حين ظفرت به نخشيت أن تعود  
إلى وتقع في حياتي ووقع الهم في السعادة ، فما  
كدت أعلم من صديقك بما اقترفته من تلك الجناية  
وهو يحدني بها متحزناً عليك راثياً لك ، حتى  
أمرعت فأبلغت الشرطة ودلتهم على نخبك ليأخذوك  
عني أنت وشؤمك وتعاستك ...

ثم صاحت وهي تهقه بجنون :

— فإني أرجع الفضل في سجنك هذه العشر  
السنوات ... أسمع يا شارل ... أسمع يا شارل ،  
وهل فهمت الآن ؟

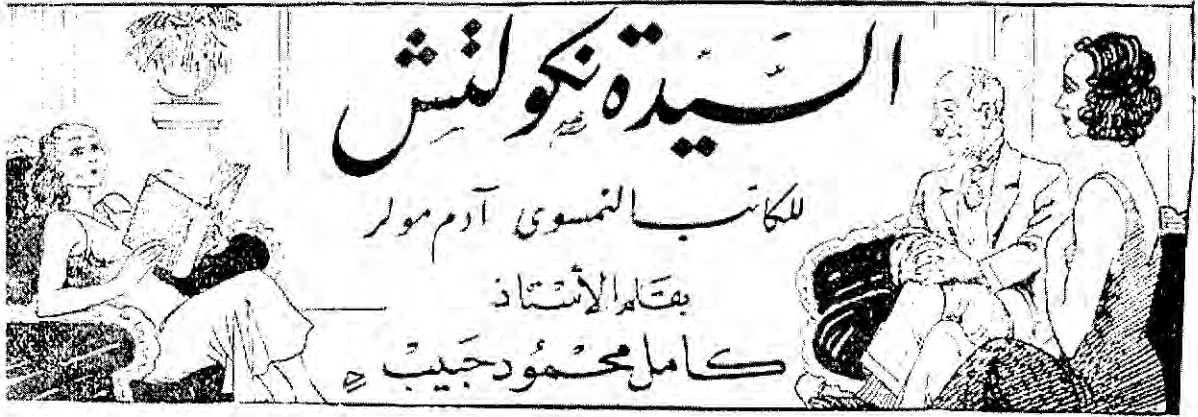
وبقي شارل كالأخوذ ، على حين ازداد هياج  
سيمون واتسمت أجفانها وجحظت عينها ،  
وأخذت تقبل وتدبر كأنما ترقص حول جثة  
أدولف ... ثم قالت فيما تهذي :

— وكذلك ضربتُ أحدكم بالآخر وتخلصتُ  
منكما معاً دون أن ألوث يدي بالجريمة ... ! ألا ترى  
هذا تدبيراً يا عزيزي ؟

وظهرت عليها أعراض الجنون ، فقال شارل  
في نفسه وهو يتفجع لها : « ذلك خير ما أتمناه  
لبراءتي ... فلن يأخذ أحد بقول امرأة مجنونة ،  
وسيمتقدون أنها هي التي قتلت في حالة من حالات  
نفسها ، ومسدسه أقوى دليل على انحصار الأمر  
فيما بين الزوج وزوجته ... »

وبينما هو في تفكيره انقضت عليه سيمون  
تريد الفتك به وهي ترغى وتزبد ، فدفعها عن نفسه  
وانفلت منها وخرج هارباً والمجنونة تصيح بالجثة :  
— اقتل شارل يا أدولف ... ! اقتل شارل

يا أدولف ... ! محمد الرافعي



المدرسة ، وهذه فرولين بييسي أختها تنطلق كل صباح في سيارة السيدة الفخمة الأنيقة لتشتري شيئاً ، أو تزور صديقاً ، أما السيدة نفسها فكانت تخرج الدار إلا بعد أن تتناول طعام الغداء عند الساعة الواحدة بعد الظهر

وكانت الطفلة في سنى طفولتها الأولى ترافق أمها إلى الحدائق ، أو إلى الغابات ، أو إلى المنتديات فلما شبت وترعرعت حال بينهما أمر . فالأم تنطلق إلى لهُوها وممتعها وميلانكا في خدرها تناقى درسا في البيان ، أو تجلس إلى مربيتها تحدثها حديث المدرسة ، وهذه تقص عليها بعض ما يثرثر به المجازر ، وهي مجوز شطاء تسهر على الطفلة وتحببها بعض ما تهفو إليه نفسها من الحنان والعطف وأما هناك ... أو تكب على درس تطالعه ، أو ...

ودأب نقولا بيتكوف على تناول طعام الغداء في دار السيدة ، والسيدة تزعم أنه عمها ، وهو يصحبها هي وأختها في غدوها ورواحهما وينشئ بهما المنتديات العامة والمسارح والحفلات ، ثم اندفعوا جميعاً زحجون بأنفسهم في حياة الصخب واللجب ، كأن بهم ظمأ للعبث والرح ، وبدأت السيدة نكولنش في أعين الرجال جميلة جذابة فيها اللباقة والبراعة والذكاء ، ثم ... ثم لسوا في حديثها نفثات السحر والطرب ؛ فراحوا يتوددون إليها

منذ سنوات عشر كانت تسكن داراً أنيقة في حي كارتير في فينا ، وهي حسناء ناعمة ، واضحة الجبين ، بسامة النفر ، هيفاء رقيقة ، يزيد جمالها شمر فاحم رجُل ، صفته يد سناع ليضعف من جمالها ورونقها ، وفي عينيها الزرقاوين الحاليتين تفتش وحوار ... واقدم عجبت زوجة البواب أن ترى هذه الفتاة تلصق إلى بابها قطعة من نحاس مصقول لامع كتب عليها « السيدة نكولنش » و « السيدة » في فينا هي العاملة أو القابلة أو الخياطة ؛ وما هذه واحدة من أولئك

وكانت زوجة البواب تعلم علماً يشيع في جوانبه الشك أن هذه السيدة أرملة سياسي صربي قضى عمراً من عمره في سفارتى برلين وسانت بطرسبرج ، ولكنها تعلم علم اليقين أن للسيدة أصدقاء كثيرين فهي ترى الدار تفتح كل ليلة بالزائرين وهي دائماً تتطفل ، وهي دائماً تسترق السمع والبصر ؛ لتشبع رغبة في نفسها ، ولتستطيع أن تطعم بعض فئات المائدة ؛ أو هي تنطلق إلى صاحب الدار ، وهو كونت مجوز فيه الصلاح والوقار والزهدي ، فتتشر على عينيها بعض ما ترى وما تسمع ، فتكون الفضيحة ...

ولم تكن السيدة تسكن الدار وحدها ؛ فهذه ابنتها الصغيرة ميلانكا تطوى نهارها بين جدران

نشأت في وادي درينا ؛  
جئت بك إلى دار أمي  
لنستريح قليلاً ، يا عزيزتي

\*\*\*

أنا لا أحبك الذهب ولا أفتح أمامك  
السكنوز الغالية

لأنني فقير لا أملك من ذلك شيئاً  
ولكنني أطرح عند قدميك الصغيرتين قلبي  
قلبي وقد أفعمه الحب والفراق

\*\*\*

وعرفت الطفلة أن هذه الأغنية هي بعض قاب  
أبيها لأنه استقبل بها زوجته الحبيبة لأول مرة  
هبطاً ممّا دار أمه ، وأرادت الطفلة أن تسمع من  
المعجوز قصة أبيها وما اكتسحت به عيناها ، ولكن  
المعجوز كانت تدفعها في رفق « ستملين ذلك ،  
يا عزيزتي ، حين تبلغين سن الفتاة ... »

حقاً ، لقد كان الأب صريباً أغرم بوطنه  
وأحب زوجته وابنته في وقت ممّا ، وهفت نفسه  
إلى أن ينشئ ابنته في دار أمه ليسكب هو في قلبها  
بعض ما يتغلغل في عروقة من هوى لبلاده ، غير أن  
الأم نفرت منه — بعد حين — لتعيش في  
منأى ... في برلين ؛ وهو يزورها بين الفينة والفينة  
ونشأت الطفلة لا تجد السلوة إلا بين جدران

المدرسة ، بين صديقاتها وزميلاتها ، فسكرت  
الدار ، وبدأ لها ما يكتنفها من غموض وغزلة ،  
فسيطر عليها السخط والألم ؛ فشبت وشب معها  
البغض لأهلها والمقت لدارها غير أن مقائنها راحت  
تعلن عن نفسها فبدت فتاة جذابة ، رائمة الحسن ،  
جميلة الطامة ، فيها الأنوثة والدقة والحجل ...

وكانت السيدة قد اعتادت أن تصحب اختها

وبتملقونها ، وهي تبسم في رقة وهدوء ؛ أما بيبي  
فكان في مرحها الحمى ، وفي حديثها الجون ، وفي  
نظراتها الاستهتار ، ثم هي لا تتحرج ولا تتأبى ،  
وكيف تفعل وهي تريد المتعة واللذة ، لقد فقدت  
الزوج وفقدت الأمل فيه فأرادت أن تجد الصديق  
والصديق و ...

وكان نقولا بيتكوف عضواً في مجالس إدارة  
الدولة انتدب في السفارة الروسية ، وهو رجل  
طروب لمع المشيب في عارضيه ، غير أن قلبه ما يزال  
شاباً فيه النزوات الطائشة ، قوى متماسك لم ترعزعه  
الشيخوخة وهي تهاجمه في شدة وعنف ، سياسي  
عبقري يرى النجاح والرقى في التجسس والاعتراف  
فهو ينشر شباً كهنا وههنا فما نخفى عليه خافية من  
أسرار المظالم والوجهاء من الأجانب والوطنيين ...  
وشاع عنه هذا نخافه الجميع ، وتجنبه جماعة وحذره  
جماعة غير أن واحداً لم يلتو عليه

وكانت السيدة واختها هما ساعدها : فالأولى  
تنقص في خداع المرأة ورزاة الحرب ؛ وأما الثانية  
فكانت تندفع في طيش وتهور ، أشفقت منهما  
السيدة أن يمصفا بما تستمع به من احترام وتقدير ،  
وبيتكوف يلح ويلح ...

\*\*\*

في هذه الحياة المضطربة ابتداء السكيم يتفتح عن  
زهرة ناضرة جميلة مات أبوها وأمها تلهو ، تحبسها  
دواعي العبث والتي في حجرتها ليلافا تبرحها ، ثم هي  
لا ترى إلا العم بيتكوف يرميها بالنظر الشرر ويقنع  
لها في القول ويقسو عليها ، وإلا صريبتها المعجوز  
أنوكا ، فما تجد اللذة في شيء سوى أغنية عذبة  
تردها المعجوز كل مساء عند فرائها :

أما صياد

دم أجداده الكرماء ، فما به من عبث وما به من  
لهو ، فهو يهوى الفتاة ، وهو يريد لها نفسه منذ  
خفق لها قلبه ؛ والمجوز تضطرب في رأسها  
الخواطر المتناقضة : أفستطيع الفتى أن يتزوج من  
فتاته ، وهي تصل بينهما ، وتسيء لهما اللقيا بعد اللقيا  
تحت أستار الظلام ، في منأى عن الرقيب والوثنى

\*\*\*

ورجعت السيدة وأختها وقد آلتها الخيبة ،  
وحز في نفسيهما الاعراض والطارء ، وعاد العم  
بيتكوف ليرى ... يرى الفتاة بين أشجار الحديقة  
ترف رفيف الزهرة اليانعة في نسيمات الفجر الندية  
نخلبه جمالها ، واضطرب قلبه حين وجد فيها صورة  
الأم منذ سنوات وسنوات ، واستلبه بعض ما رأى  
من قسوته وغلظته ، فهوى على يد الفتاة يقابلها في  
شغف ولهفة ، ففرغت هذه وجفلت وهي تقول :  
« أى عمى ، عمى العزيز ! »

وانطلق الرجل الى السيدة ليرى ... ولأول  
مرة بدت في نظريه قبيحة تستلبها الشيوخوخة من  
جمالها رويداً رويداً ، فعاها وانجذب عنها وعن  
أختها في وقت مما ؛ ورأت هي فيه الفتور ، وفي  
حديثه القسوة ، فحزنت حزن المرأة تفقد عشيقها  
وعائلها ... أما يببسى لما كان لبعثتها ما رأت من  
عمها وهي المرحاة الطروب ، فغادرت الحجر في  
خفة وهي تقول : « سأصحب ميلنكا الى الكازينو ... »  
وكشفت السيدة للرجل عما يضطرم في قلبها  
— حين خلاهما المكان — وانهمرت عبراتها  
حرى فيها الأسى والشجن . نعم ، لقد أحبها حيناً  
من الدهر وأحبته ، وذافت هي لذة الهوى وذاق  
هو معها ... أفستكون هذه هي النهاية ؟  
وعلى حين فجأة قال بيتكوف : « مارينا ، إن

-- كل صيف -- إلى حيث يصطاف العظماء  
والوجهاء لحاجة في نفسيهما ؛ وترامى إليها أن ملك  
الإنجليز سيقضى بعض أيام هذا الصيف في مارينباد ،  
فانطلقنا إلى هناك ، واستطاع بيتكوف أن يهيء  
لها حجرة في فندق فيرستنهوف حيث يهبط  
العظماء ... وخشيت السيدة أن تحوم حولها  
الشبهات وتتناولها الألسن حين خيل إليها أن  
ما يبدو على حقيباتهما من قدم ورتبة يتم عن  
شئ ، فراحت تسدد سهامها في طيش وهرج ؛  
وضاق صدر الملك بهذا التطفل والتبجح ، فأمر ،  
فخيل بينهما وبينه ، وارتدت السيدة وأختها على  
أعقابهما بعد أسبوعين تحملان الخيبة وضياغ الأمل  
لأول مرة في الحياة

\*\*\*

وكانت ميلنكا في إيشل وأما في مارينباد  
تستشمر ألم الوحدة ومرارة العزلة ؛ ووجدت إلى  
الخلاء طريقاً ، فانطلقت هي ومريتها إلى الكازينو  
كل صباح ، وإلى غابات لوفن كل مساء ؛  
واستطاعت أن تتحدث إلى ضابط شاب من ضباط  
الحرس الملكي فيه الظرف والمرح تعود أن يجلس  
إلى نضد بجوارها ، ومريتها ترى ... لقد آلتها  
حيناً أن ترى الفتاة سجيئة أو كالسجيئة ، فسرّها  
الآن أن تراها تجمد اللذة والمتعة في حديث رقيق مع  
شاب مهذب فيه الرجولة والحياء

لم تكن الفتاة ماحجة عابثة ، ولم تكن هوجاء  
مستهترّة ؛ فهي تمشى على استحياء ، وتجلس في  
أدب واحتشام ، تصون نفسها عند الابتذال  
والعبث ... ثم هي قد علقت الفتى الضابط كبرات  
كرامر وعلقها هو ، وهو من أسرة عريقة في الجدد ،  
طيبة المذنب ، زكية المفرس ، وفي عروقه يجري

ابنتك جميلة ... جميلة فاتنة خلابة ... وبلى لي !  
 كأنني لم أرها من قبل ! » وفزعت السيدة فقالت  
 وهي تضطرب : « أفتعتقد ... أفتعتقد ؟ » فقال  
 في هدوء : « لقد كانت في الرابعة حين كان  
 نكولتش ... فهي الآن في الثامنة عشرة ... »  
 وصرخت المرأة في وجهه حين تراءى لها ما يريد  
 الرجل : « لا ... لا ... ! » فقال هو في سخرية  
 وتهكم : « الصغيرة أجل ... لقننها ... » وصاحت  
 المرأة أخرى وهي تنتفض من الذعر وقابها بتمزق  
 إرباب : « لا ، ان ألقها بين براثنك ، لن تسيطر  
 عليها ، لن تقذف بها إلى الهاوية ... ! » قال وقد  
 أصر على أمر : « إفعلي ما شئت فلن تستطيعي أن  
 تحولي يبي وبينها ، فأنا الوصي عليها وأنا الذي  
 أريد ... إنه فوق طاقتك أن تجدى لها زوجاً غنياً  
 كريم الأصل ، ومن المعجز أن تتزوج من رجل  
 فقير ... » قالت : « لا ... أنا لا أفكر في زواجهما  
 الآن ، ولكنها هي ستكسب ما يكفيها فهي  
 ستنال درجتها الجامعية قريباً ... » وابتسم الرجل  
 ابتسامة الهزء ؛ وغازله أن تقف الأم في سبيله تدفعه  
 عن أمر يريده لنفسه فاضطربت الكلمات على شفتيه  
 « المستقبل ! المستقبل يا مارينا ! أنا لا أجد ما أدفعه  
 لكم ... سأطلق إلى عملي في سانت بطرسبرج ثم  
 أعود في الخريف القادم لأرى رأيك ... »

واستشعرت المرأة الصفعة حين تراءى لها أنه  
 سيذلها ويخضعها وهي لا تملك شيئاً . لقد اندفعت  
 معه في طريق وعمر زماناً ، وهو يعلم لماذا انتحز  
 نكولتش وهو شاب فيه القوة والفتوة ، ولماذا  
 أصبح هو وصياً على الطفلة ! وارتد تاريخها كله  
 ينشر نفسه على عينيها وقد أترع بالخمازي والمساوي  
 ويوقظ في نفسها نزعات طيبة أسدل عليها الستار

زماناً فهاجت : « نعم ، إنك لا تجد ما تدفعه ...  
 أفنسيت أن مذكراي عن الجاسوس الروسي تزلزل  
 أركان العالم ؟ » قال وهو يكتف في نفسه الجزع  
 والرعب : « لا تكوني حمقاء يا مارينا ، فأنا رجل  
 حطمته الأيام ، لا أبكي على شيء أما أنت فما تزالين  
 شابة » ثم قال بعد أن أطرق قليلاً : « ... وأنت  
 أم هذه الحسنة ، دعيتها مني فسيتمتعت عليها الرجال  
 تهافت الذباب على الحلواء » قالت في غيظ وغضب  
 « أفلا تسمع ما أقول ؟ ان أخلي بينك وبينها ،  
 لقد حاولت جهدى أن أحول بينها وبين أن ترى  
 حياتنا المضطربة ، وألا تغتمر في هذه الحماة ،  
 لتكون - بعد حين - سيدة نفسها أو تتزوج من  
 رجل ... إنها ابنتي وإنت لا ترى فيها إلا سامة  
 غالية تريد أن تبيعها بالثمن البخس ... » قال في  
 هدوء : « أبيعها ؟ يا للغباء ! ستمود ومعهما الملايين  
 ثم تتزوج ممن تشاء ! »

وكان الرجل فظاً في نظرائه ، حيوانياً في آرائه ،  
 وحشاً في خواطره ، تنفطر الانسانية من عباراته ،  
 كم في الحياة من أمثالك أيها السبع الضاري الدفء ؟  
 لقد أصر على أمر ، وترك الأم حزينة مضطربة  
 ما تستقر ولا تهدأ

\*\*\*

ورجعت بيبي من الكازينو باشة مستبشرة  
 وقد رأت الفتاة تغزو قلب الشاب كيرات كراير  
 رويداً رويداً ، وجلست هي إلى السيدة تقص عليها  
 قصة الغرام الجديد ، وابتسمت الأم حين بدا لها  
 أن هذا الشاب قد أرسلته العناية الإلهية لينقذ  
 الفتاة من هاوية عميقة توشك أن تتردى فيها  
 ونادت السيدة ابنتها « ميلنكا » : « إنك تتألقين  
 كثيراً كأنما تريد أن تكشفني عن مفاتنك ! »

وأحست الفتاة شدة الصدمة في قلبها فطارت الى حجرتها تبكي أملاًها الضائع وسعادتها المفقودة ، والمجوز ترّبت على كتفها ، وتهدي من ثورتها ، وتبعث في نفسها الأمل الحلو من جديد ، فهي ستنتقل في الصباح الباكر الى آل كرامر عندها تلتقي الشاب فتحدثه الحديث وترى رأيه

وترى الى المجوز أن كبريات غادر القصر صباحاً الى إيشل فارتدت على عجل تحمل البشرية .. بشرى قدوم الزوج المنتظر

وأفزع السيدة حديث المجوز عن إيشل ، فقصة مارينبار ما تزال على الألسن ، وهي تخشى أن يدوى الخبر في إيشل والفتى عندها فيحجم ، فطارت الى فينا لتدفن سوءاتها هناك

وكانت خطابات بيتكوف تبعث في نفسها السأم والملل ، فهو ما يزال يتحدث عن ميلنكا ويطلب رسمها ، فأرسلت اليه تصده في شدة وعنف ، وتأتي أن تسلس له بعد إذ أحست بالأمومة الصادقة تدفق في قلبها قوية تحرس ابنتها وتسهر عليها ؛ وهو ... هو بيتكوف الوغد يتخذ من قصة غرام الفتى والفتاة أول حجر في بناءه السافل

\*\*\*

وعلمت الأم أن قانون الحرس الملكي يحتم على الشاب أن يتقصى خبر الأسرة التي سيصبح صهرها لها ، فراحت تحدث أختها الحديث ، وتوحي اليها أن تذهب الى أحد مكاتب الاستعلام لترى ما يقولون عنها وهي تقول « لا أظن أن أحدا هنا يستطيع أن يجد في ثغرة ينفذ منها » قالت الأخت « وأما أوقن أن بلداً غير هذا لا نستطيع أن نجد فيه الأمن والطمأنينة »

وانطلقت بيبي الى مكتب الاستعلام تسأل المدير خبر السيدة نكولتش وابنتهما لأن ضابطاً شاباً

واضطربت الفتاة لما سمعت غير أن السيدة اندفعت « لملك عقلت هذا الشاب ! » قالت في انكسار « نعم ، نعم يا أماء » وصمتت الأم حيناً ثم قالت « لا بأس ، لا بأس ولكن احذري ! » وطربت الفتاة لحديث الأم الرقيق وعطفها السامى

وفي الحق لقد كان الشاب يرافق الفتاة وخالها كل يوم حتى باب الدار ثم يقفل راجعاً خشية أن تراه السيدة ، والسيدة تنظر من خلال النافذة ، ثم .. ثم أرادت أن تعرف من هو الشاب ؟ فأرسلت الى بيتكوف تطلب اليه أن يوافيها بما يعرف عن آل كرامر .. وجاءها البريد يحمل أخباراً تسر ، ثم راحت هي ترى ما وراء ..

وعلى حين بنته بدت السيدة في الكازينو في ثيابها السوداء وقبعتها العريضة ، متأنقة متبرجة تخطف البصر واللب ؛ وإلى جانبها ميلنكا ، فتاة في مقتبل العمر تخاب القاب وتأسر الأفئدة ؛ ثم بيبي ... وصرن جميعاً بالفتى وهو جالس الى أخويه خياهن في أدب وهو في مكانه لم يبرحه ، وكأن ظهور السيدة قد بعث في نفسه الرهبة والخوف فما استطاع أن ينطلق اليهن ... وتكرر هذا أياماً ..

لشد ما آلم السيدة أن ترى الفتى يترى ويحجم وهي كانت تأمل أن تراه الى جانبهم يتحدث ويتحدث ثم يصحبهم الى الدار ... واضطربت بيبي لهذا الاخفاق ؛ أما ميلنكا فقد حزّ في قلبها أن تنطوي الأيام ثم هي لا تستطيع أن تجلس الى صاحبها تحسده ويحدثها ، وتدق اليأس في قلبها حين قالت لها أمها « أما أحرم عليك أن تجلسي الى هذا الشاب الوضيع أو أن تتحدثي اليه فهو يريد المتعة الرخيصة واللذة السافلة فحسب . إن في هذا الاحجام من الضمة والدناءة ما فيه ... »

جامدة ذاهلة تستحث الأخت في صوت فيه الألم والحسرة « اقرئي ، اقرئي ، واستأنفت الأخت « وتنبىء حياة السرف التي تعيشها السيدة وأختها ، وقد انطوت أيام شبابهما ، أنهما ما تزالان تعملان في الجاسوسية... لهذا ولغير هذا مما نكتمه لاستطيع أن ننصح شاباً ذا كرامة وشم أن يصاهر هذه الأميرة . أما الفتاة نفسها فنحن نجزم بأنها بعيدة عن كل ما يشين السيدتين ويعصف بكرامتهما . وقد ترى إلينا أن الشاب قد نفى بديه منذ أيام... » وانقض الحديث على السيدة صاعقة تمررها عركاً ، وتهد من كيانها ؛ وأختها الى جانبها تستشعر الخيبة واليأس والعار جميعاً . وانهمرت عبراتها... عبرات الندم تحاول عبثاً أن تغسل بمض ما جنت يداها حين غرستها الحياة بزخرفها ، وحين زين لها الشيطان سوء عملها

ورجعت ميلنكا الى الدار وفي عينيها عبرة تترقق ، وفي قلبها الأمل والحزن ، لأنها رأت صديقتها على خطوات منها يراها فيصدف عنها ، ثم هي تبسم له فيعرض عنها . واندمت الى حجرتها عليها تظنيء بعض اللواعج المضطربة في قلبها بسبل من عبراتها الحزنى... ولكن أمها فادتها لتنشر على عينيها بعض صفحات الماضي ، غير أن الفتاة قالت في غيظ وحقن : « لا ، لا أريد أن أسمع شيئاً ، ولكن فانهزل الى بلد لا يعرفك فيه أحد » ثم جفلت من بين يديها وأنها تناديهما...

وفي الصباح وجدت السيدة في بحر لجى من الدم وعلى النضد خطاب منها الى بيتكوف .. وجاء الرجل ليصحب الفتاة — دون خالتها — الى سانت بطرسبرج ... الى الهاوية ...

لمحمد محمدي

يريد أن يتزوج من الفتاة ، وحدها الرئيس بنظرة فاحصة ، وبدا عليه الجد والاهتمام حين سمع قولها « لأن ضابطاً شاباً ... » ثم قال : « أما لا أعرف شيئاً ، ولكننى أستطيع .. سأقضى وأرسل إليك ... وخشيت المرأة أن يفتضح الأمر فتركت عنوان إحدى صديقاتها ... »

وتصرمت أيام ... وانطلقت السيدة وابنتها — ذات ليلة — كل واحدة الى حجرتها ، تنأهب للذهاب الى الأوبرا ، وقد ابتداء الأمل يحيا في نفس السيدة ، وخيل اليها أن المهموم التي رانت عليها حيناً من الدهر قد انقشمت أو كادت ، وأن المستقبل يحمل في أضغافه مسرات ومسرات ، بعد إذ انطوت صفحات الماضي ومحاها النسيان ، ثم جلستا تنتظران بييسى ... وعادت الأخت وفي يدها خطاب كبير إنه من مكتب الاستعلام ...

وسمرت في مفاصل السيدة رعدة خفيفة ، وسيطر عليها الشك فمالت : « أفنفضه الآن أم نطرحه جانباً حتى نمود ... » قالت بييسى : « لا ، لا بد أن نقرأه الآن » ، وترددت السيدة حيناً ثم قالت : « لا بأس ، فلتذهب ميلنكا ومريرتها فقط ... » ثم أرتج الباب ، وفُض الغلاف وراحت بييسى تقرأ : « لا ريب في أن السيدات يستمتعن بطبيب الأحداث ، والسيدة تعيش في رفاهية وبذخ وإن كانت لا تملك شيئاً ، وهي تزعم أنها أرملة سياسى صربى له شهرة ومركز ، وهذا زعم بعيد عن الصواب ، وتساكنها سيدة أخرى تقول هى إنها أختها ، وهذا ادعاء فيه شك ، وهما تندفعان في طريق ليس فيه الشرف ولا الكرامة ، وهما تعملان في فرق الجاسوسية الأجنبية ... » واضطربت بييسى وقالت : « يا للعار ، يا للعار ! » والسيدة



# المراقب

للفصلى لروى المعاصر شير لكرف  
بقلم نظمي خليل



لا ترى أمامها إلا زوجها الشيخ « ستيمان » يسير في الغرفة في خطى متناقلة ، وهو يعمل سمالاً حاداً . فلا يكاد يرى زوجه وحدها حتى يشيح عنها ويدمدم بهذه الكلمات : « كفك ذهاباً وانتظاراً : » ثم بصمتان — فسكاتها كان غارقاً في الأفكار متغلاً بالهموم — يكاد الدمع ينبجس من عينيه ، ولكنهما كانا يقاومان الحزن ويتكلمان الصمت

\*\*\*

كان يتردد على منزل ستيمان صيرف المدينة وهو رجل ثمار مُدَّع فيقص على الزوجين كيف يعامل المسجونون السياسيون في السجن ، وكيف يجلسون في حجرات ضيقة ذات فتحات ضيقة ينصب منها الماء حتى تنقلص أبدانهم ، وتجمد دماؤهم في عروقهم ، وتقف قلوبهم عن الحركة . فتضطرب ماريا لهول هذا الكلام ؛ فتصيح خائفة وجلة : إلهي ! إلهي ! فيحاول الصيرف أن يهدئ ثورة الأم الحزينة فيقول : ولكنهم قد يطلقون سراح البعض منهم . ثم يمضي في حديثه الطويل المتصل ، وهو يشوه الحقائق ويلفق الروايات حتى يسرى الخوف والرعب في قلوب الزوجين المفجوعين في وحيدتهما العزيز فيقضيان ليلهما على فراش دونه شوك القتاد

\*\*\*

اعتادت ماريا أن تذهب كل مساء إلى المحطة تتوسم وجوه الركاب باحثه عن ابنها « نيكولاس » فيقفز قلبها فرحاً كلما وقعت عينها على شاب في لباس الجامعة ولكنها كانت في كل مرة تتفقد ابنها فلا تجد فتندفع إلى العربات وتحدق النظر في الجمهور الواقف على الرصيف ، وهي لا تكاد تصدق عينها ؛ فتسأل وهي حائرة قلقة :

— إلى أين يذهب هذا القطار ؟

فيجيبها رجل : إلى موسكو

— وهل جاء من « كيف » ؟

— نعم

فتصوب المرأة بصرها جهة « كيف » ثم يملو وجهها ابتسامة حزينة رقيقة لتلك الصورة العزيرة التي ستطالع عليها من وراء ذلك الضباب والدخان — صورة « نيكولاس » العزيز وهو في لباس الجامعة — ولكن هذه الصورة الحلوة الجميلة سرعان ما تختفي من ناظرها فتهم بالرجوع إلى المنزل وقد فاض بها الحزن حتى كاد يحبس أنفاسها . حتى إذا مادنت من البيت استيقظ فيها ذلك الأمل من جديد فتتوهم أنها ستجد ابنها هناك فتسرع الخطى وتندفع إلى الباب في شوق وخوف ، ولكنها

الطعام ذات الفطاء الأبيض لا تزال قائمة وسط  
الحجرة . فذكرته هذه بحياته الماضية البعيدة ؛  
فالحجرة كما تركها على المكتب ؛ ومحفظة الأوراق  
لا تزال عالقة بالحائط ، والأوز يتبختر في فناء المنزل  
وهو يضم فراخه الصغيرة الصفراء إليه . فابتسم  
نيكولاس لهذه الأشياء كأنه قد رآها بالأمس

كانت السماء صافية سافرة ، والهواء رخو ليناً ،  
فوقف الشاب في إحدى النوافذ يرقب الطيور وهي  
تهرع إلى أوكارها . فأبصر شبحاً يدب من  
بعيد يشير المثير بقدميه وعيناه إلى الأرض ،  
والعصافير تفر من أمامه وهي تشعشع وتنقار

فاطمان نيكولاس لهذه المناظر الجميلة المتعددة  
— منظر الشارع الهادئ المقفر والحمام الطاهرة  
والطيور المنردة ، والأوز الصارخ الفرح ، والغرف  
النظيفة المرتبة — وشعر بوحده وهدوئه ؛ وسرعان  
ما أدرك أن له حياتين متميزتين متباينتين : إحداهما  
هناك حيث كان يعيش ، والأخرى هنا بين أحضان  
والديه . وأن حياته البعيدة أصبحت تلوح له كأنها  
قصة خيالية قد قرأها في أحد الكتب ، وأن حياته  
في القرية حياة حقيقية غير متغيرة — كقانون  
الطبيعة

— أتحب السمك يا عزيزي كولين ؟  
فالتفت كولين حوله فرأى أمه واقفة وهي  
تترنح من فرط السرور . وقد شمرت أكتافها  
استعداداً للعمل . وقال :

— السمك ؟ حسن . إني لا أهتم كثيراً

بالأكل

— إذن اطهي لك بمضامنه . وسرعان ما عادت  
حاملة طبقاً به سمك ووضعت على المائدة وهي تقول :

لم يحض على هذا الحديث بضعة أيام حتى كان  
نيكولاس واقفاً بالباب ، فلم تكذب ما رآه تراه حتى  
أمرعت إليه وضمت به إلى صدرها والدموع تنهمر  
على خديها ؛ ثم أخذت تقبله ، وهي لا تكاد تصدق  
أن « كولين » قد عاد إليها ، فكانت تنظر إليه وقد  
اندفعت إلى رأسها آلاف الأسئلة تريد أن تلقىها  
كلها قبل أن تسمع جواب الأول منها

— هل أنت في صحة جيدة ؟  
— أحقاً أطلقوا سراحك ؟  
— إلهي ! هل أنت حي حقاً ؟  
فنظر إليها في ابتسامة حزينة مضطربة وقال :

« لقد كنت يائساً من لقاءك يا أمه ! »  
— ولكنني كنت أذهب إلى المحطة كل يوم  
إذ لم نستطع أن نفكر فيما حدث لك  
— الأمر عادي ؛ لقد سجنحت بضعة أشهر في  
حصن . . .

— وأنت ذلك الآله ؟ لقد صابت من أجلك  
يا عزيزي . هل عفواً عنك ؟  
— فأجاب كولين في ابتسامة رقيقة : « لا .  
ليس عفواً تاماً ، ولكنهم أرسلوني إليك مراقباً »  
— وماذا هم صانعون بك ؟

— إني لا أعرف على وجه التحديد ، ولكنني  
سأدخل الجامعة ثانية في بحر سنتين  
— أظنك في حاجة إلى الطعام . إنك ضامر  
هزبل . انتظر قليلاً فإن أغيب عنك

\*\*\*

كان كل شيء على ما هو عليه : فالغرف نظيفة  
مرتبة والستائر مدلاة على النوافذ وشجرة  
« اللبلاب » لا تزال تغمر الباب بأكاليلها ، ومائدة

من العمل خجراً بالذباب الكثير الذى يضايقه فى المكتب ، والطريق الطويل الذى يقطعه على قدميه ؛ فأرجو أن تحتمل غضبه وضيقه

أما نيكولاس فقد كان يفكر فى هذه المقابلة يخشى الصدام معه . والحقيقة أنه لم يرد أن يفهم أبداً بأنه كان فى الامكان أن يسلك غير ما سلك إذ كان يشعر دائماً أنه على حق ، ولكنه كان لا يزال مضطرباً بضيق بالحجل الذى يفسد عليه حياته ؛ ثم نظر من النافذة فرأى والده يخطو متثاقلاً كما لو كان أحد الأعيان الملحوظين فى القرية ، وقد أمسك فى يده شمسية ضخمة ، وتنابط بحفظة كبيرة

— ماذا يحمل أبى ؟

فأجابته أمه فى لطف : إنها محفظة الأوراق التى يحملها دائماً حتى ولو لم يكن فيها شيء ، كذلك الشمسية وإن لم يكن هناك مطر . فلما دنا الرجل من الأوز اندفعت إليه مشرئبة بأعناقها تعض ساقه ، فوقف فى مكانه وشمخ برأسه وأشار إليها بأصبعه فانكششت الأوز وهزت ذبولها وعادت إلى أحواضها . ثم خرج نيكولاس إلى الباب ولكن ستيبان لم يسرع فى مشيته إذ كان قد علم بمجيئه وهو فى مكتبه بل قال وهو يبتسم : أه ! أه ! هل أتيت ؟ ولم يرد أن يظهر فرحه الذى غمر قلبه لذلك الشاب الذى كان يظن أنه عاق مسيء حتى أنه قد رآه فى الليلة السابقة فى حلم مروع ثقيل كأنه مسوق إلى ساحة الاعداء وقد جاء ليودع والديه ، فتقدم إليه كولييا بوجه شاحب وشفيتين مرجفتين وقال : « يوم سميد يا أبى ! » فأجابه أبوه : سميد يا ولدى ! ثم عانقه عناقاً قصيراً وسمل سعالاً عالياً . ثم أخذ يسأله عن مجيئه . ثم جاءت ماريا فرأت الأب

أيها العصاة — علام المصيان ؟ ماذا تريدون ؟ ولكنها لم تنتظر الجواب فلم تكن تريد أن تعرف ماذا يريدون . بل أسرعت إلى المطبخ لترى الزبدة التى كانت على النار . ثم عادت وهى تقول : « سيأتى والدك الآن ، فلا تغاظ له . قد يفضيك ولكنه لا يحتفظ بغضبه عليك طويلاً . إنه شيخ قد عاش طويلاً ، بينما أنت لا تزال تحبو فى الحياة ؛ وليس العمر المحرب الطويل كالسير فى المراعى والحقول

— ومتى يعود أبى ؟  
— كمادته كل يوم فى الساعة الثالثة  
— وأين يعمل الآن ؟

— فى نفس المكان الذى كان يعمل فيه — فى مناقصات الحرس — ومرتبته كما هو لم يزد . لقد ضمفت أعصابه حتى كادت يده تقف عن الكتابة . فقال نيكولاس وقد غمره الحزن والألم : شيء مرعب ؟

— نعم مرعب يا عزيزى كولييا فقد أصابه شلل كاد يقمده عن العمل . كنا نؤمل أن ... ولكن ماذا ... إنما لا نستطيع أن نعيد الزمن من جديد . كل قبل أن يبرد الطعام . فأخذ نيكولاس يأكل فى تراخ وكسل إذ كان يفكر فى حال والديه وينظر إلى أمه كيف ابيض شعرها ويبست يداها واحدودب ظهرها . بينما هى كانت تدبم النظر إلى الساعة تترقب عودة ستيبان تتنازعها مشاعر الخوف والفرح ، فقد كانت تتمجل بمجيئه ليرى ابنه الوحيد ، ولكنها كانت تخاف أن يخرج الغضب بالأب فيسئ إلى ابنه . فعملت على تهيئة الجو لهذه المفاجأة الغريبة فقالت : « إن والدك باتى متعباً

يشيح عن ابنه ، فعملت على تخفيف حدة ذلك الموقف فقالت : « احمد الله أبها الأب فقد عاد إلينا ابنا في صحة جيدة ؛ وهذا كل ما تريد . هيا الى الغداء . هل ضايقتك الذباب اليوم ؟  
فلم يجب الزوج بل قام الثلاثة الى المائدة ، وأخذ الأب يلقي على ابنه بمض الأسئلة القصيرة المقتضبة فقال :

— وعلى هذا أخرجوك ؟

— نعم

— إذن كنت مجرماً ؟

— نعم

— وتعود إلينا مراقباً ؟

— نعم

— وماذا تريد أن تعمل الآن ؟

— سأستأنف دراستي

— أى إنك تبدأ من جديد ؛ فاذا ما طردت

ثانية رجعت الى الأول

— فأجابت الأم : لم هذا الكلام الآن ؟ لكل

شيء نهاية

— فقال الأب : حسن ، وستأتى نهايتنا قريباً .

ولكن لماذا طردت يا ولدى ؟

لقد اشتركت في الثورة ؟

— حسن جداً . ولماذا حبسوك ؟

— لا أعرف

— اسمع يا بني ؛ إني مضطر أن أقول لك إني

لم أكن أنتظر هذا العمل منك . لقد كنا مضطرين

إلى دفع نفقات المدرسة ثمانى سنوات وأجر

المدرس الخاص والكتب والملابس ، وكنت أمنى

نفسى بأن هذا كله سيرد إلى . ولكن ظهر لى الآن

أن ما عملمته قد تلاشى كالفتح المحترق  
ورى الأم أن الحديث قد أخذ يشتد والجو يكفه فتحاول أن تلقى بمض الماء على النار المتأججة فتقول : « كل إنسان عنده أولاد ، وهو مضطر الى هذا العمل . ليس هناك ما يسوع هذا الأحصاء الآن » فأجابها الزوج وهو يسمل سماً عالياً : « إني لا أحصى عليه شيئاً ، فقد قربت نهايتنا ، ولاننتظر منه شيئاً . لقد عملنا على أن يقف على رجلبيه . . .  
ولكن علام التحدث في هذا وكل إنسان هو الخالق لسمادته » فلم بقو كوليا على سماع باقى الكلام بل ترك أمه تمتب على أبيه وهى تقول : « ما كان ينبغي لك أن تهاجم هذا الشاب بهذه السرعة »

\*\*\*

خرج نيكولاس الى الفضاء يبعث بالأوراق المتساقطة قرب الطريق ويفركها في يده ثم يغيب في تفكير عميق وهو واقف أمام ذلك البحر اللانهائى من القمح الأخضر ؛ ثم استولى عليه نوع من اليأس العميق إذ كان كل شيء حوله صامتاً لا يسمع إلا قنابر الحقل تغنى بأصوات مرتمشة متقطعة حتى بدا له أن هذا العالم ثافه ثقيل ، وأن أهم مشكله هى الصحة ؛ فان كانت الصحة جيدة حلت مشكلة الحياة كلها . فيكفى أن تترك قلبك يتأمل هذه الحقول النضرة والأجواء الفسيحة والسحب البيضاء . كل شيء سيكون كما كان من قبل ، وسيأتى الشتاء وبعبقه الصيف ، وستخضر الحقول ثم تغمرها الثلوج ، وستفرد القبرات وستقام الأسواق وستعج القرية بوفود الفلاحين

ثم أخذت القرية تصحو على أصوات الماشية وهى راجمة إلى حظائرهما ، فنفاء الشياه وخوار

هذه الكلمة الغريبة . ولكنه تماثل نفسه وسار وهو يفكر فيمن تكون هذه الخطيبة

وأخيراً وصل إلى حجرة صغيرة كثيفة اللون لم يكن بها إلا نافذة واحدة قد ثبتت فيها قضبان من النحاس ، فنظر نيكولاس إلى هذه النافذة فرأى فتاة في ثوب بنفسجي بديع ، وقبعة من القش قد زينتها بأزهار الربيع . وقد وقف بجانبها ضابط طويل الشارب تلمع حررته في الفضاء كلما لوح بها أو انتقل من مكانه

فقات الفتاة في ابتسامة رقيقة عذبة : نهارك سعيد . فرد عليها الشاب التحية ، ثم أخذ كل منهما يرمق الآخر ، وعبثا حاول نيكولاس أن يتذكر هذه الفتاة إذا كان قد رآها من قبل . كان وجهها مغطى بقناع خفيف قد أُلقت عليه أسلاك النافذة ظلالاً رقيقاً ، فلم يستطع أن يتبين قسما وجهها فقال لها في استحياء : أسمحين أن ترفقي القناع ؟

فرفعت الفتاة القناع فسحرت عينها ، وعلت وجهه حمرة الخجل

وخفض بصره . لا . لا . إنه لم يرها من قبل وهنا تنبه الضابط لحديث الشاب ، فكان كلما حركت الفتاة يدها لوح هو بستانه وسفل سمالا عاليا يريد أن يفهمها أنه لا يزال يقظا لما يدور بينهما - لقد نسيت بكل تأكيد حبيبتيك ( جاليا )

فأجاب نيكولاس في غموض : لا . ثم ابتسم فجاءت ضحكة قوية من الفتاة ، وتألقت أسنانها من خلال الأسلاك

فلوح الضابط بستانه وقال : « هل تزامن الهدوء قليلا ؟ »

فقات الفتاة في حمدة : « أحرام علينا أن

الثيران كان يختلط بأصوات النساء وهن يصحن على فراخهن لتذهب إلى أوكارها ، وأسواط الرعاة تدوى في الفضاء كأنها طلقات نارية ، ثم امتلأ الجو بسحائب التراب وما لبث الظلام أن لف القرية في سكون مطبق عميق

\*\*\*

عاد نيكولاس إلى المنزل فاستلقى على مقعد كبير في الحديقة وأخذ يستعيد في مخيلته صور ما حدث له في « كيف » وسرعان ما لاحظ له صورة تلك الفتاة الغريبة حاملة له اللذة والألم ، فتذكر يوم أن كان يقيم في سجنه الضيق الثقيل وقد اعتقد أن هذا العالم قد نسيه حتى أمه ووالده ، إذ دخل عليه السجنان يقول : « زائر قد جاء إليك ! » فهب نيكولاس واقفا وسار خاف السجنان في ممر طويل مظلم قد فتحت فيه « الزنازين » على أبعاد متساوية تخيل إليه أنها حديقة حيوانات مرقومة الأبواب وخاف كل باب واحد من هذه الحيوانات الضارية من يكون الزائر يأتري ؟

أيمكن أن تكون أمه ؟ لا ، إنها لا تعلم بسجنه . قد يكون أحد رفاقه . ولكن كل رفاقه في السجن أو في المنفى ، وفوق ذلك فإنه لا يسمح بزيارة أحد من رفاقه . إذن لم يأتني أحد . ثم سأل السجنان : من جاني ؟

فأوسع السجنان الخطو ولم يجب ، فقال نيكولاس : « أحرّم علينا أن نتحدث معكم ؟ قد تكون مخطئاً في استدعائك إليّ

فنظر إليه السجنان وقال في هدوء : خطيبتيك ؟ - خطيبة ؟ ثم سكّت طويلا وقد شعر أن قلبه يثب بين أضالعه . وأراد أن يضحك عاليا من

نضحك ؟ ولا أن نصرخ ؟ ... » ثم سألت نيكولاس إن كان يضحك في سجنه

فأجابها : « إن الانسان هنا لا يحتاج الى الضحك ولا الى الصراخ . أظن أن العالم في الخارج جميل جداً الآن »

فأخذت جاليا تصف له قدوم الربيع وفيضان الأنهار ومنظر الطيور وتفتح الأزهار ثم قالت : سأحضر اليك بعضاً منها المرة القادمة . أتحب البنفسج ؟

— نعم وسأضهما في ززانتى وسستد كرنى دائماً ..... بك

قال هذا بصوت راجف وهو يحدق في وجه تلك الفتاة . أى وجه جميل هذا ؟

— لا تحزن . سأجىء اليك كل سبت ثم دقت الساعة اثنتين وانتهى زمن المقابلة .

فقال السجنان وهو يفتح الباب : — تفضلى . فقالت الفتاة :

— لا تحزن ! وداعاً ! تذكر أنني ذهبت أن لك أصدقاء

أما نيكولاس فقد تبع السجنان وهو مطرق الى الأرض وعيناه تطفران بالدموع ، ولم يكذب يصل الى ززانتة حتى أوصدها وراءه وأخذ يغنى في صوت عال : « هبوى حرية السير . هبوى حرية الحب »

فسمع صوتاً ينهائهم عن الغناء والرقص لم يعرف مصدره ، فقد ظن أن الباب يتكلم فأمسك عن الغناء ، وقال :

والحب ! أهو مسموح به هنا ؟ فلم يجبه أحد

وهل يسمح بشعورى هنا ؟ لم يكن هناك من يجيبه

\*\*\*

قضى نيكولاس ذلك اليوم فرحاً مفتبطاً ، وقد نسى أنه مسجون وهو يطوف بززانتة منشداً كوحش كاسر قد ضاق بقفصه

لقد كان هذا اليوم يوم ميلاده !

\*\*\*

ثم جاء المساء ؛ مساء السبت ! وهناك في الأفق البعيد أخذت أجراس الكنائس تدق فبهمت في نفسه الهدوء ، وأيقظت فيه ذكريات الطفولة الحلوة ، ففتح النافذة وأخذ ينظر إلى تلك السماء الصافية ، وقد أخذت الشمس الغاربة تعكس أضواءها على جدران السجن ، والحنائم ترفرف بأجنحتها في الفضاء ، فأيقظت في قلبه شجون الذكري والألم ، وذكرته بالحرية ؛ ثم اشتد عليه الحزن وزادت به الوحدة وشعر بحاجته إلى التحدث إلى نفسه : من تكون جاليا ؟ ثم استبد به الشوق فتناول عصا صغيرة ، وأخذ يخدش بها على جدران الززانة :

« النجوم تضيء لامعة في السماء الزرقاء

ومن خلال النافذة يهب عقيق الربيع وعلى الأرض الناعمة يجتمعون عرائس الأحلام السابحة على أجنحة الفضاء ! »

ولكنه عاد فحما ما كتبه واستلقى على سريره

يفكر فيمن تكون تلك الفتاة الجميلة

قضى نيكولاس الأسبوع كله بترقب يوم

السبت ، وقد شعر أنه لن يأتى . لقد عاش من أجله ولم يفكر في شيء غيره ، لم يهدأ في نومه إذ كان

وسمع طيور الصباح تغرد على قنن الأشجار ، فاطمان إلى هذا الهدوء ، وهذا الجمال ، وأغمض عينيه من جديد محاولاً أن يتذكر حلمه الذاهب البعيد فشمر كأن نوراً كنور الصباح المبكر يضيء قلبه المظلم الحزين . آه ! لقد ظهرت له جاليا في حلمه علابها البيضاء وقبعها المزر كشة بأزهار الحقول ، ثم انحنت عليه وهمست في أذنه قائلة : « استيقظ ! يجب أن تذهب إلى الشرطة ! » ولكن هذا لم يكن همس جاليا بل كان صوت أمه ماريا تذكره بما لم يكن قد نسيه ، فقد أصبحت كلمة « البوليس » تستثيره ككلمة أب . فهب غاضباً وارتدى ملابسه وخرج مشياً من أمه بأرق الدعاء وأخلصه ، فقد كانت نفس الكلمة تثير في قلبها هي أيضاً نوعاً من الألم الغامض الخفي !

\*\*\*

خرج نيكولاس قاصداً مركز الشرطة ، فلم يكد يصل إلى الباب الخارجى حتى هب الناس وقوا ونهاسوا فيما بينهم أن يرجعهم هذا القادم من ألم الانتظار والشكوى . ثم دخل بيتاً مظلماً يريد أن ينقض نفوح منه الرطوبة وتنتشر فيه رائحة الفيران الميتة وقد جلس النساء على الأرض الرطبة المبللة ، ووقف بجانبهن حارس عملاق يغفل شارباً ويفازل صفارهن ، فسأل نيكولاس عن سبب انتظار هؤلاء الناس ، فمات أصوات متعددة مختلطة : « نحن الشهود أيها الرفيق » ثم سار إلى غرفة الانتظار ، فسمع صخباً وضجيجاً ، فن صرير الأفلام إلى وقع أقدام الخدم وهم ينفدون ويروحون إلى خشخشة الأوراق . وأخيراً أدخل على رئيس البوليس الذى كان جالساً إلى مكتبه منكباً على أكدهاس من الأوراق ، ولكنه مالبث أن اعتدل في كرسيه ونظر إليه

يهب مذعوراً وهو يردد اسم السبت . وأخيراً جاء يوم السبت ، وكان يوماً مطيراً ؛ ولكن نيكولاس لم يشعر بذلك ، إذ كان قد نسى كل العالم في ذلك اليوم

فلما أحضروا الغداء صاح : « هل من زائر ؟ » ولكنه لم يتلق جواباً ، فبقى الطعام كما هو ، وبقى هو ينتظر ، وأخيراً جاء السجان بالمشاء يحمل معه باقة من البنفسج قد ذبلت أزهارها ، فارتجف نيكولاس ، وقال وهو يتناولها في نعمة حزينه يائسة : وزائرى !!

فابتسم الحارس ومضى

فنظر نيكولاس إلى الأزهار ، فرأى أمامه جاليا تقطفها وتقدمها إليه في ابتسامتها المشرقة العذبة فدقن وجهه فيها ، ثم أخذ يتنسم أريجها ويستنشق فيها عطر الربيع وعبيق الحرية ويرضع أوراقها كأنه طفل غريب ؛ ويحنو عليها محاولاً أن يبقى على حياتها بدم شبابه وقلبه ، ولكن هذه الأوراق مالبثت أن اسودت وتفضت وماتت ، ولم يبق منها إلا واحدة وضمتها بين صحائف كتابه

وإذ هو يفتح هذا الكتاب أبصر تلك الزهرة الذابلة ، فأخذ يفكر فيمن تكون جاليا الفاتنة ! استيقظ نيكولاس عند سماع همس غريب ، فأصغى إليه ، فاذ هو صوت والده يصلى لله ، وقد سمعه يردد في آخر صلاته : « كذلك ابني الخاطيء خادمك نيكولاس » ، ثم قام الرجل ونفض عنه التراب ، وجاء إلى ابنه يوقظه ، وهو يقول : « استيقظ . يجب أن تذهب اليوم إلى الشرطة ، وإلا قبض على أنا . عليك أن تمضى ذلك التعهد المكتوب هناك ، ثم تنصرف » ثم فتح الشيخ النافذة ، فمرت بالحجرة نسمة الصباح المنعشة ،

اهتدت إليه وهناك أسندت رأسها الى ظهر ابنها وأخذت تبكي وتنتحب . وأخيراً قال الابن في صوت راجف حزين : « يجب أن أذهب بعيداً . ماذا أعمل ؟ » إني لا أعرف . لا أستطيع احتمال أكثر من هذا . لن أذهب ثانية الى البوليس . بل يجب أن أذهب إلى مكان آخر

— ولكن ألا ترحم والدك ؟ إنه يصرخ الآن من الألم . ألا ترحم شيخوخته ؟ اكتب التعمد للبوليس . اعمل ما يطلبه منك والدك فهجمت الذكريات الأليمة على نيكولاس وصاح :

— لا ، لا ، لا ، لن أعمل شيئاً . سأذهب الى مكان آخر  
— الى أين يا عزيزي كوايا ؟ إن والدك سيضطر أن يجيب عنك  
— لا ، لا ، لن أذهب

وفي الصباح وجد نيكولاس ملق في مقعده ينام نومة الرجل المجهد الذي فزع من هموم العالم وأعباء الحياة  
ووجد بجانبه كتاب وعليه زهرة البنفسج الذابلة .  
نظمي هليل

## آلام فرتر

للشاعر الفيلسوف جوته الألماني

الطبعة الرابعة

ترجمها أحمد محمد الزينات

وهي قصة عالمية تعد بحق من آثار الفن الخالد  
ومنها ١٥ قرشاً

نيكولاس وقال : « حسن . ماذا تريد ؟ إيه . المساواة ؟ إن هذا لا يمكن للشباب أن يناله . . . انظر إنك ضامر كالوميا وأنا بدين كالغيل . في الناس الذكي والغني — الفقير والغني — هذه هي سنة الطبيعة . . .

— وأنت ... ؟

— إني لا أريد شيئاً

— يجب أن تنصرف عن مجالس المهيجين وألا تستمع إلى خطبهم الثورية . إني لا أحدثك كرئيس للبوليس ولكن كشخص عاش ولديه كثير من الخبرة والتجارب . أظن أني لم أحلم بالمساواة ؟ إلهي ! لقد حملنا بها جميعنا ونحن شبان ولكننا كنا مخطئين . والآن إنك مراقب هنا . يجب أن تكون تحت أنظارنا دائماً . ثم خرج نيكولاس بوجه شاحب ممتقع وجسم مرضوض مجهد وفي عينيه برق الكراهية وشرر الترد والثورة

\*\*\*

أمضى نيكولاس بقية اليوم يتجول على شاطئ النهر حتى جاء الليل فتسلل الى كوخه الصغير الذي أقامه في حديقة المنزل ، وهناك استلقى على مقعد كبير ووضع يديه على وجهه وأخذ يستمع إلى أصوات الأجراس التي كان يحملها إليه السكون العميق ، ثم لا تلبث أن تذوب في جوف الفضاء . ولكنه ما لبث أن سمع صوتاً ضعيفاً يقول له : « ألم تنم يا عزيزي ؟ » فالتفت نيكولاس الى مصدر الصوت فرأى أمه واقفة بالنافذة وهي تنن وتبكي  
— بربك لا تبكي من أجل يا أماء !  
— وكيف الصبر يا ولدي العزيز ؟

فتركها الابن وذهب الى كرسية واستسلم للبكاء . فأخذت أمه تنفس باب الكوخ حتى

أنتظر فراغ الصبية من ارتداء أثوابها . وكل ما يمكن  
ليباني أن يؤديه ، هو أنني كنت أسمع القاذف الناري  
يقول لي : عد الى رشذك لأدراك ما أنت فاعل

ولقد فكرت مزاراً في ما كان سيقع لي  
لو أن الفتاة أسرع بمغادرة الغرفة كما أمرتها .  
لا ريب في أنني كنت سأجد سكوني بعد ثورة  
الخجل التي ساورتني ، فان الحزن شيء واليأس شيء  
آخر ؛ ولكن الله قد جمع بينهما كيلا يتسلط  
أحدهما منفرداً دون رفيقه على النفس المتألمة . فقد  
كان يكفي أن تخلو غرفتي من هذه المرأة ليضعف  
يأسي ويقوى حزني بالندم ، وللندامة ملاكها  
المانع الغفران عن قاتلي النفوس . ولو جرت الحوادث  
على هذا الوجه ، لكنت وجدت الشفاء وأوجدت  
بابي دون كل فاحشة بعد أن أبقت لي زيارتها  
الأولى مثل هذا الخجل وهذا الاشتزاز

ولكن الحوادث اتخذت مجرى آخر  
كنت لم أزل جالساً أنتظر خروج الفتاة وفي  
نفسى مراجل من السكر والخوف والغضب ؛  
أما هي فبقيت منهمكة في ترتيب شعرها وتنسيق  
طيأت ثوبها تبتمم لحياها في المرأة . ومرت ربع  
ساعة وأنا أتبع شاردات أفكاري حتى نسيت  
وجود شخص آخر في غرفتي . وبدأت من الفتاة  
حركة أشعرتني بوجودها ، فانتبهت من غفاتي  
وزجرتها ، فذعرت وقامت تطلب الباب وهي ترسل  
إلى قبلة الوداع من بعيد . وفي هذه اللحظة قرع  
جرس الباب الخارجي بشدة ، فنهضت مسارهاً إلى  
إخفاء الفتاة في غرفة داخلية ما كدت أدفع مزلاجها  
حتى دخل ديجنه ومعه رفيقان من شبان الجيرة

إن بعض حوادث الحياة تشبه التيارات  
المندفعة في عباب البحر ، فهي قضاء أو صدفة



من أعماق النفوس

## اشترافان في العصور

للفريد ريس

بقلم الأستاذ فليكر فارس

### الجزء الثاني

#### الفصل الأول

وعند ما صحت في اليوم التالي ، رأيتني بلغت  
من الأخطا والدناءة ما جعلني كارهاً لنفسي ،  
فاستهوتني فجأة فكرة مروعة دفعتني من فراشي  
فهبيت وأنا أصبح بالملوكة التي قضيت معها ليلى  
قائلاً لها : ارتدى أثوابك واخرجي حالا من هذا  
المكان

وجالست أحرق بالجدران حتى بصرت  
بأساحتي المعلقة على الزاوية . . .

عند ما انتراى فكرة متألمة الى أحضان الفناء  
فتقدم الروح على الكبار تشعورها الحركة الآلية  
للتنفيذ بشيء من الرهبة يصطدم بالارادة فيزعزعها .  
ومن يهاجم الانتحار يستول الذعر على ألامله  
وتنقلص عضلات يده عند ما يحس بصقيع الحديد .  
وما أقدم إنسان نحو الموت إلا وأحس باحجام  
الطبيعة عن مجاراته

يصعب على الآن إيضاح ما كنت أشعر به وأنا

معها الزاح فرجوتة بالهجة جافة أن يعفني من مزاحه ، فما اهتم لقولي بل تناول الموضوع الذي جاء من أجله ؛ وما جاء إلا ليعلمني أن خلياتي لم تكف بأخذ عشيقين في آن واحد إذ بلغ عشاقها الثلاثة ، وذلك معناه أنها لم تعامل من خدعتني لأجله بأحسن مما علمتني

قال ديجنه : إن مزاحي لم يتورع من نشر الخبر ، وقد عرفت باريس كلها بخيانة الخلية له أيضاً ؛ وما أدركت لأول وهلة معنى هذا القول حتى استمدته الحكاية ثلاث مرات ، وإذا فهمتها صمقت ولم أجد سوى الضحك ألجأ إليه حين أيقنت أن من أحببت امرأة ساقطة ، ولكنني وجدت حين قالت لي نفسي بأنني أحببتها بل لم أزل أحبها إلى الآن وأبد رفيقا ديجنه ما قاله هو ، فعرفت منهما أن خلياتي كانت في منزلها وقد التقى العاشقان فيه فكان عمراك شديد اشهر أمره حتى اضطرت المرأة إلى مغادرة باريس هرباً من الفضيحة والعار وما كان ليخفي علي ما يصيبني من كل هذه المهازل ، إذ أصبحت مبارزتي من أجل هذه المرأة وتولّى بها وجميع ما فعلته من أفعالها سخرية وهزواً ، وما كان ما توصف به من أخط الصفات وما يفترض من عهدها فوق ما اشهر منه إلا ايشعراني بأنني لم أكن إلا واحداً من عديد من تناولهم خداع هذه المرأة الساقطة

ولاحظ الشابان امتعاضى فوقفا عن التمداد في السخرية ؛ غير أن ديجنه لم يقف إذ كان مصمماً على معاملتي معاملة الطبيب بعالج مريضه بقسوة لا بد من الأخذ بها ، وكان يرى لنفسه هذا الحق وهو الصديق الحميم الذي محضني الود وباداني الخدمات العديدة ، وقد اعتقد بحسن نيته فما زاده اضطرابي

أو عناية الهية ، سمها ما شئت ، ولكنها كاثنية وما ينفىها التعارض في معنى كلماتها . على أن جميع من يذكرون قيصر وناپوليون لا يفوتهم أن بصفوا كلاً منهما برجل العناية الإلهية ، فكانهم يرون الأبطال دون سواهم من الناس يستحقون عناية السماء بهم . ولمسل الآلهة في اعتقادهم كالثيران في حلبة الصراع لا يستهويها سوى الأوشحة الأرجوانية إن ما ينتج عن أحقر الحوادث في هذه الحياة وما تبدل في مسالكنا أنفه الأمور ، لمضلة تفتح أعماق المهاوى أمام المفكرين

إن أفعالنا لشبيهة بالسهم الصغيرة التي تنتهي بتفويقها نحو الهدف حاسبين أنها ستتجه طوع اختيارنا وسهارتنا ، ولكن لفحة من الهواء تهب على أحدها فحالة فتحوه عن مجراه وترفعه لتدفع به إلى مجاهل الآفاق

إننا نشعر بصدمة مروعة عندما يتضح أن كبريانا الواثقة من ذاتها ليست إلا شبحاً يتجلى بهارة وعزماً ...

إن القوة نفسها وهي سيدة العالم التي يقبض الإنسان عليها وينتضيها سيفاً يناضل به في معترك البقاء ، إنما هي خاضعة ليد خفية تحولها عن الهدف الذي نرى إليه ، فإذا جهدنا منطلق كالسيف خلا أمامه مضربه فرمى بحامله إلى الحضيض

هكذا بينما كنت أتجه بكل ارادتي إلى تطهير نفسي من أدران خطيئتي ، ولعلمي كنت أتجه أيضاً إلى ازال العقاب بنفسى ، رأيتني ماثلاً أمام تجربة خطيرة قدر على أن أسقط فيها

وكان البشر يطفح من وجه ديجنه ، فانطرح على القعد وهو يتهمكم بما يتم عليه وجهي من اضطراب ومن مهيد ، وما كنت في حالة أحتمل

فصل منها وهو مسك الختام ؛ فاعلم ، يا عزيزي  
أوكتاف أن العراك بين عاشق خليلتك القديمة إنما  
وقع في ليلة مقمرة ، وبينما كان كل منهما يهدد الآخر  
بقطع عنقه ، لاح في الشارع خيال يتمشى على مهل  
وقد عرف أن هذا الشبح لم يكن سواك أنت . .  
وصحت به : — ومن قال هذا . . من رأي في  
الشارع ، أنا . . ؟

فقال : هي خليلتك بعينها التي رأيتك . . ، وهي  
نفسها أخبرت بذلك وهي تضحك وتؤكد للناس  
أنك لم تزل هائماً بها وتقضي الليل كالشمس أمام  
بابها . أفلا يكفيك أن تعلم أنها تعان هذه الأمور  
على ملا الأشرار ؟

ما تمكنت يوماً أن أكذب في حياتي ، وفي  
كل مرة حاولت أن أموه الحقيقة بفضحتي  
وجهي . ولكن هذه المرة شعرت بتسلط الخجل  
على من إعلان ضمني ، فقلت في نفسي : ( ما كنت  
لأقف أمام بابها لو أنني عرفت أنها تدهورت إلى هذا  
الحد ) واجتهدت أن أقنع ذاتي بأنه لم يكن بإمكان أحد  
أن يراني ويعرفني ، فحاولت إنكار الواقع ، ولكن  
الاحمرار علا جبيني فاضحاً أمري . وصدق ديجنه  
بي وهو يتنسم فصحت به : — حذار ، يا هذا ،  
فانك تتجاوز الحد

وذهبت في الغرفة أذرعها طويلاً وعرضاً كمن  
فقد صوابه ، وحاولت أن أضحك فعصاني الضحك ؛  
وأخيراً وجدت نفسي تجاه ستر مهتوك فقلت : —  
وهل كنت أعلم أن هذه الشقية ...  
فانقبضت شفتا ديجنه كأنه يصر على قوله :  
أفما كان يكفيك ما عرفت ؟ .

وجئت وكان الدم — وقد انقبضت عليه عروقي  
ربع ساعة — يتصاعد إلى صدغي نابضاً فبهما فبدأت  
أكرر القول وأنا لا أعني : — أيدينا كنت في

إلا إني ألقى الشدة ليقذف بي إلى السبيل الذي يريده  
لي ، واسكنه ما لبث أن شمر بنفاد صبري فاخترت  
السكوت ، وما كان سكوته هذا إلا ليزيد من ثورتي  
فبدأت بدوري أنحرش بزائري مستفهما وأنا أتمشى  
ذهاباً وإياباً في الغرفة متوقفاً سماع التفاصيل عن هذه  
الحوادث التي صُعقت لها . وكنت أتكاف  
الابتسام ثم أظاهر بالسكون ، فما نجحت محاولاتي ،  
لأن ديجنه تمنع بالصمت فجأة بعد أن ذهب بثورته  
إلى مدى بعيد ، فكان ينظر إلى يهدوء وأنا أذرع  
عرفتني بخطواتي كالنمل أطبق قفصه عليه

وشعرت بمجزى عن بيان ما كان يدور في  
خلدني : أصبح أن تلك المرأة التي تربعت صنماً  
معبوداً في صميم فؤادي والتي ذقت من هجرها  
الأميرين ، تلك المرأة التي حصرت فيها كل هيامي  
وأردت أن أبكيها مادمت حياً قد استجالت ما بين  
ليلة وضحاها فاحشة تلوك اسمها ألسنة الشبان ،  
مهتوكة تعان بنفسها فضائحها على ملا الأشرار ؟  
وكنت وأنا استعرض هذه الأمور بذهني  
أحس كأن كاويًا يطبع على كتفي علامة العار . وكما  
استغرقت في التفكير كانت تنكأ الظلمات حولي  
فأدير رأسي عن جلسائي وأنا شاعر بابتساماتهم  
ولحاظهم تنصب على لاستجلاء سريري

وكان ديجنه يتبع حركاتي وسكناتي وهو  
لا يجهل إلى أين يتجه بما يفعل لأنه كان يعرفني  
ويعرف أنني أقدم على كل أمر وأتجاوز كل حد بما  
في من اندفاع إلا حداً واحداً وهو الشرف ؛ لذلك  
كان يقصد أن يصم الآمي بالعار مستمعيناً على  
عواطفه بتفكير

ولما رأي أنني وصات إلى الحد الذي يريد ،  
صوب آخر سهم من جيبته إلى فقال :  
أفما أعجبتك هذه القصة ؟ إليك الآن بآخر

هذه الهاوية السحيقة تهتف هازئة : — هذا هو جزاؤك ...

لو جاء هؤلاء الصحاب فقالوا : إن الناس يهزأون بك لكنت أجيبهم : مالى وللناس ؟ ولكنهم جاءوا يقولون إن خليلتك لا زمام لها ولا عهد

إذاً ، لقد اشتهرت الفضيحة وثبتت بشهادتين ما كان يمكن لمؤدبها أن يعلننا وجودى على ما كنت عليه دون أن يتحدثنا بما كانا هما عليه أيضاً ، فهاذا أكذب الناس ، وما بوسى أن أقول لهم ؟ وأين أجدى ما جأ وقد أصبح قلبى وهو مركز حياتى طلالاً متهدماً . وهل لى ما أقول إذا كانت هذه المرأة التى ما كنت لأتردد فى اقتحام أية — سخرية وأية ملامة من أجلها واحتمال جبال المصائب تنهار على فى سبيلها ، هذه المرأة التى أحببتها فأحبت سوى فا طالبها بالنور المنطفىء بل قنمت بأن أفق با كياً أمام بابها لا لشيء الا لالمح فيها وأنا بعيد عنها شبابى المضيق وقد استحال الى أطياف تذكاري ، ولأحفر اسمها دون سواه على لوح قبر دفنت فيه جميع آمالى ... هل لى ما أقول إذا كانت هذه المرأة هى نفسها تسخر بى وتهزأ بدموعى ؟ إنها هى نفسها أول من أشار إلى بينانه قاضياً على بالتنهير أمام من لا عمل لهم إلا الاندفاع فى ميلهم الى الاستهزاء بمن يحقرهم ...

أجل ، هى نفسها من رى باللاهانة إلى خارجة من شفتين طالما التصقتا بشفتى ومن جسد كان روحاً لحياتى بل دمك من دى ولحمك من لى . وهل من إهانة أفضع من هذه الالهانة وما هى الا قهقهة لارحة فيها تصفع الجبين الجميع برشاش نقائسها ... وكنت كلما استغرقت فى آلامى يحتمد غضبى وتضطرم ثورتي ، وما أدري أصبح أن أصف

الشارع غارقاً بدموعى ، كان المراك قائماً بين الماشقين ؟ ... أنى تلك الليلة جرى هذا ؟ .. وقد هزأت بى ! .. لقد سخرت بى ! .. هى ؟

أما رأيت هذا فى حلم ياديجنه ؟ أم يمكن أن يكون مثل هذا صحيحاً ؟ ...

وكنت وأنا أدفع بهذا الهذيان أشعر بالغضب يساورنى حتى استوت على هزة عنيفة اضطارتنى إلى القعود ويدهاى ترتعشان .

وقال ديجنه : — مالك ولهذا الهزلة تقابها بالجد ، يا أوكثاف ؟ لقد أرهقتك هذه الهزلة منذ ثلاثة أشهر ، والأمر ظاهر ، فأنت بحاجة إلى التسلية . تعال لتناول العشاء سوية وغدا نذهب للتنزه فى الضواحي

وكان يقول هذه الكلمات بلهجة فعلت فى نفسى ما لم تفعله أوجاعى إذ شعرت بأنه يمامانى معاملة طفل عليل

وبقيت ساكناً أحاول التغلب على ذاتى عناجتها قائلاً : — لقد خدعتنى هذه المرأة فجأت بمدىها النصائح السيئة تعمل قلبى ، وما وجدت لى ما جأ لا فى العمل ولا فى ارهاق قواى ؛ ولم يبق لى وأنا فى العثرين من ربيع الحياة ما يقينى التدهور فى القنوط أو الفساد إلا ذخيرة آلامى الريمسة أستعيز بها وقد جاءنى الآن من يريد تحطيمها بين يدى . إنهم لا يوجهون الأهانة إلى حبيبى الآن بل إلى يأسى ، لقد أصبحت سخرية وهى نفسها تهزأ بى ... وأنا أبكى

وما كنت لأصدق بوقوع مثل هذه القرية ، فكان الماضى بأمره يحتاج تذكاري فأرى لىالى غرامنا القديم تمر أمامى كأشباح تتوالى مترامية على شفير جرف لا قرار له غير صخور مظلمة كالعدم وكنت أسمع قهقهة تتجاوب أصدائها فوق

ولو اضطرت إلى حفر هذا القبر في صميم فؤادي  
قلت هذا وارتميت على مقعد أنظر إليهم  
يدخلون الغرفة وأنا أشعر بالمسرة الرائعة التي يشعر  
بها كل إنسان يفرّج كرب الاحتقار عن نفسه ،  
وإذا ما خطر لإنسان أن يعجب لا يتخذى منهجاً  
جديداً في حياته ، فما ذلك الإنسان بمطاع على خفايا  
القلب البشري ولا هو يعلم أن المرء أن يقف  
عشرين سنة على ترده ، وليس له أن يتراجع إذا  
هو دفع بالخطوة الأولى على أي سبيل

## الفصل الثاني

ما أشبه من يصاب بالدوار بمن يتلذذ للتخلّعة  
والفحشاء ! وما أوائل الدروس إلا رعب تمازجه  
لذة المشرف مرتجفاً من برج مرتفع على الأعماق  
إذا كانت الرذيلة المستترّة تنال من نبالة الخلق  
وتحط من معزة النفس ، فان في الخلعة الصريحة  
التي تقتحم الهواء الطلق شيئاً من كبر الجسارة  
تراه متجالياً في أشد الخلفاء فساداً . إن من يسير  
تحت جنح الليل سائراً أنفه باردانه ليلاطخ حياته  
متنكراً نافضاً رياه نهاده خلصة ، إنما هو كـبعض  
الابطاليين الذين يرسلون خناجرهم رشقاً إلى ظهر  
من لا يجروون على منازلته . إن في الزوايا المظلمة  
وفي التلاق تحت جنح الليل ما يشبه كمين الأشرار ،  
في حين أنك ترى في مقتحم الدعارة الصاخبة شيئاً  
من صفات المحاربين ، فتحسب أنك تشاهد عمراكا  
في موقعة وتهتف بك الكبرياء قائلاً : إن جميع  
الناس يفعلون هذا مستترين ، فاهتك السـتر أنت  
وافعل علانية ما يرتكبونه في الخفاء  
وإذا ما ادرك الخالص هذه النجوى ، فان شعاع  
الشمس لينعكس ملتصعاً على درءه

ما كنت أشعر به من الغضب ، وكل ما أعرف عنه هو  
شموري بماطفة الانتقام . ولكن أنى لي أن أنتقم  
من امرأة ؟ . . . وأين السلاح الذي يمكن لرجل أن  
ينال به من امرأة لأشتره بما عز وهان ؟ أية ضربة  
أوجهها إليها وأنا أعزل حتى من السلاح الذي  
رشقته بناره ؟ وهل لي أن أنالها بما نالته من  
وقيعة واغتيال ؟

ولاح لي فجأة وراء الباب الزجاجي خيال الفتاة  
التي كانت لم تزل تنتظر الإفراج عنها . وكنت  
نسيتها تماماً ، فنهضت من مقعدي وصحت بأصحابي :  
اسمعوا . . . لقد أحببت . . . ، أحببت كيجنون بل  
كأحمق فاستحقت كل ما ترشقونني به من عار ؛  
غير أنني سأعرض عليكم الآن ما يثبت لكم أنني  
لم أعد ذلك الأحمق الذي تتوهون

ودفعت باب الغرفة الصغيرة برجلي فانكشف  
مخبأ الفتاة وقد لجأت إلى زاوية لتتقى الانظار  
وصحت بديجته : أدخل ، أنت يا من رآني  
مجنوناً لهيأى بامرأة ؟ أنت يا من لا تحب إلا نبات  
المواخير . . . أفأرى حكمتك تختال هنا في هذه  
الغرفة ؟ سل هذه الحكمة ، سل هذه الفتاة عما إذا  
كنت قضيت ليلتي كلها تحت نافذة تلك المرأة ،  
فأنها أخبر من سواها . . . ولكن ليس هذا  
كل ما أريد أن أقوله ؛ إنك تدعوني إلى تناول  
المشاء معك هذا المساء وإلى نزهة في الضواحي  
غداً ، فأنا أقبل دعوتك ، ولكنك لن تبارحنى  
منذ الآن ، فلنمض النهار سوية ، فأقدم لكم  
ما تشاؤون من خمر وورق ميسر وأزهار . أنتم لي  
وأنا لكم ، فلنتماهد على هذا الشمار ، لقد شئت  
أن أرفع في قاي مزاراً أحسب به غرامى ولكننى  
الآن سأنزل هذا الغرام إلى قبر أدفنه فيه

دلا بالغبغان محوم ناعبة فوق رأسه  
لقد سردت الحوادث التي رمت بي إلى هذه  
الحياة ، فعلى الآن أن أقص ما رأيت فيها :  
لأول مرة رأيت فيها المجتمعات التي يدعونها  
مراقص مقنعة ، كنت سمعت من يقول إن فيها  
دعارة الفصور وإن إحدى ملكات فرنسا تنكرت  
فيها بزى بائنة أزهار ، ولكنني ما شهدت في هذه  
المراقص إلا بائعات أزهار متنكرات بزى خادمت  
الجنود . كنت أحسب أنني سأجد فيها الدعارة  
فكذب الواقع خدسي ؛ وما يمكن أن ندعو دعارة  
هباباً متساقطاً من دخان ، ولا اللكم والصفع ،  
ولا فتيات سكارى منطرحات كالأموات على ركام  
الكؤوس المحطمة

لأول مرة رأيت فيها فسق المائدة ، كنت  
سمعت أحاديث الشراهة في الولائم وبانغي اسم  
فيلسوف يوناني أقام دين الفطرة على لذة الحواس ،  
فكنت أتوقع أن ألاقى في هذه الولائم شيئاً من  
الاستغراق للنسي إذا امتنعت الأفراح الحقيقية فيها  
فما وجدت إلا أقبح ما في الحياة : ما وجدت  
إلا ملالا يحاول أن يتمتع بالعيش ، فكان هنالك  
قوم يسودهم الخلق الانكاذبي يتحدثون عن أعمالهم  
ويجدون التسلية في هذا الحديث وهم يقدرون  
ملذاتهم على ما بذلوا من مال ؛ وعلى هذه الوتيرة تدور  
عليهم رحي الحياة

لأول مرة رأيت فيها بنات الهوى بعد أن  
كنت سمعت قصة (اسبازي) يحضنها (السيبياد)  
وهو يتناقش مع (سقراط) ؛ كنت أتوقع أن أرى  
انطلاقاً وقحاً فيه شيء من المرح وخفة الروح ؛  
كنت أتوقع أن أشاهد ما يفلى وبطفو كجباب  
الراح المعتقة فما وجدت إلا شفاهاً متراخية وعبونا  
جاحظة وأنامل متشنجة

قيل أن ديموكليس كان يحيا وفوق رأسه سيف  
معلق ؛ وما حال الخلعا إلا مثل حاله ، فإن فوق  
كل منهم سيفاً يقول : تقدم . . . تقدم أبداً ،  
فأما معلق بخيط على وشك الانقطاع  
وما أرى ما أصوره به حياة الخلعا إلا وصف  
عجلة يتمدها في أعياد المرافع رهط المقنمين ، وهي  
تخترق الطرق مكشوفة يلمب الهواء بما عليها من  
مشاعل تنير الوجوه المكاسة ، وعلى هذه العجلة  
فئة تغنى وفئة تضحك وبين الفئتين تلوح مخلوقات  
كأنها نساء ، وما هي في الواقع إلا بقايا نساء عليهم  
من الإنسانية آثار عافية . ويالهن من نساء يلقين  
بين القبل كل أنواع الاهانات والتحقير ولا يعرف  
المحتضن لهن هوية ولا اسماً

وكل هذا رهط تسير به عجلة المساهر مفرقة  
تزيها مشاعل الغاز الملتهب ، وقد تحكم السكر في  
الرؤوس فحمد فيها كل تفكير . ولقد يخيل إليك  
من حين إلى حين أن هنالك ما يشبه الاحتضان  
والتقبيل ، وإذا تدرج أحد من هذه العجلة فما  
يهم أحد بأمره ، وهل يهم شيء من يرى نفسه  
خارجاً من عدم سائراً إلى عدم . . . على هذه الوتيرة  
تسير خيول العربة خبيهاً ويعر رهط المسافرين  
إذا كان الدهش هو أول ما يشعر به المنخرط  
في سلك الخلعا ، فما يشعر به بعد ذلك إنما هو  
الاشمزاز يقبض على القلب ليجره جراً إلى الاشفاق .  
إن ميدان الخلعة مجلى للقوة أو بالأحرى مجال  
لنقاد القوى ، وذلك ما يجتذب الكثيرين من  
عشاق المجازفة ، فيقدمون إلى هذا الميدان ليبذلوا  
نفوسهم مبددين ما فيهم من قوى ، فهم كالفارص  
المنيد يمتطي فرساً جهوحاً وينطلق غير شاعر بما  
يلاق من لجة ومن دمه على أشجار الطريق ولا بالشرر  
يتطاير من محاجر الذئاب تتبعه في الأرجاء القفرة

هذا الزمان ولا في الزمان المنصرم إلا كلمة «البغاء»  
وما حفرت هذه الكلمة على الذهب التوهج بشمع  
الشمس بل على الفضة التي تبدو لميتيك باهتة كأنها  
مفشاة بكدورة أنوار الليل

لأول مرة رأيت فيها الشعب ، كان ذلك في  
صبيحة الرفع (أربعاء الرماد) عند منحدر (كورنيل)  
وكانت السماء قد أمطرت الأرض رذاذاً منذ المساء  
فأصبحت الأزقة كأنها مزالق أوحال ، وكانت  
المجلات الحاملة رهط المقتنعين تمر متدافعة بلا انتظام  
بين المتفرجين على جانبي الطريق ، وهم واقفون رجلاً  
ونساء يمرضون أنواعاً من القبح على الرصيفين .  
وكانت تلمع في محاجر هؤلاء الناس عيون أعارتها  
الخرلونها فبدت فيها نعمة الوحوش الكاسرة .  
وما كانت صدمات المجلات تنال صدورهم لترجمهم  
قيداً أعملة إلى الوراء ، وكنت أنا واقفاً على مقدم  
إحدى هذه المجلات المكشوفة فكنت أرى من  
حين إلى حين أحد المتفرجين يتقدم نحونا من صفه  
وهو بأسماله ليوجه إلينا أفطع الشتائم ثم يرمينا  
بحفنة من الدقيق ويمود أدرأجه . وما طال سيرنا  
حتى بدأ الناس يرشقوننا بكتل من الأوحال فلما  
تراجعنا بل داومنا التقدم نحو جزيرة القرام وغابة  
(رومانفيل) موطن العناق والسرور . وسقط أحد  
أصحابنا عن مقعد المجلة إلى بلاط الشارع فهرع  
الشعب إليه قاصداً تحطيم عظامه ... فترجلنا وأحطنا  
به لوقايته وكان حامل النفير يتقدم المجلات ممتطياً  
جواده فرشقه الشعب وقد فرغ ما لديه من الدقيق  
بحجر خدش كتفه

وما كنت سمعت بمثل هذا من قبل ، فبدأت  
أتعرف حالة العصر الذي نعيش فيه  
(يتبع) فليكن فارس

لأول مرة رأيت فيها السيدات المتهتكات .  
كنت قرأت (بوكاس) و (باندللو) بعد أن  
طلعت (شكسبير) ، فكنت أتخيل هؤلاء السيدات  
ملائكة جسيم يواجهن الحياة بالرشاقة والروح ،  
وكنت أرسم منهن أشكالاً تنم عن الجنون في  
الخيال ، وقوة الإبداع والقحة بعيون ساحرات  
تثير برشقة لحظ فاطر أحداث شجون وغرام .  
كنت أحسهن في الحياة تموجاً واهتزازاً كآلهات  
البحار ، وأراهن منحنات ثملات ، أو منطرحات  
سكرا من خمرة الحب والهيام . هذا ما كنت  
أتصور وما كنت أتوقع أن أرى ، فلما رأيت إلا  
محدرات رسائل وضاربات مواعيد ، دأبن إرسال  
الأكاذيب لرجل مجهول بعد رجل مجهول ، وستر  
الدنيا بالرياء ، وما يرمين إلا إلى هدف واحد :  
الاستسلام والنسيان

لأول مرة ارتدت فيها أندية الميسر ، وكنت  
سمعت الأحاديث عن جداول الذهب والثروات  
بالحظة من الزمان ، وعن سيد من قصر هنري  
الرابع ربح بورقة واحدة مائة ألف ريال وهي قيمة  
ما كان يرتدى من ملابس ، فلما رأيت في هذه  
الأنديّة إلا دكان أثواب يستأجر منه العمال المرتدين  
قيصاً ليس لهم سواء ثوبا بمشرين درهماً لتمضية سهرة  
واحدة ؛ ولما رأيت إلا جلاوزة بحرسون باب ناد  
فيه رهط الجائنين يقامرون مجاذفين بطلقة عيار  
نأري على أدمغتهم مقابل رغيف ...

لأول مرة رأيت فيها مجتمعا للخاصة وللعمامة  
من ثلاثين ألف بنى حاملات اجازة يبيع أعراضهن  
في باريس ؛ وكنت سمعت بكل فيالق الفحشاء  
في كل زمان من عهد بابل إلى أيام روما ، وقد  
كتبت على أبوابها « اللذة » فلما رأيت لا في

نام أوديسيوس منهوك القوى  
 وذَهبت مِينرْفا تدبر له أَمْرًا في شِيرِيا ، بلد  
 السلالة ذوى المجد من أبناء فياشيا — ملوك البحر  
 الذين فروا من وجوه جيرانهم الجبارة  
 السيكاويس — في العصر الخالي ، وزلوا بهذا  
 البلد ، فشادوا حصونه ، وأقاموا أسواره وتوزعوا  
 أرضه المخصبة ، وأسكنوا الدور والقصور ،  
 وأنشأوا المعابد للآلهة عرفانًا وشكرًا  
 وقضى ملكهم وزعيمهم نوزيتوس ... ثم  
 استوى على العرش من بعده ألكينوس ، حبيب  
 الآلهة ، وصفى السماء

\*\*\*

كانت الأميرة الحسنة ، نوزيكا ، ابنة  
 ألكينوس الملك ؛ تفت كالملك في نوم عميق بين  
 وصيفتين رائعتين من وصيفاتها . فوق سرير وثير  
 في مخدعها الملكي الفاخر

وكان رَناج الباب محكمًا كأنه رَناج باب الجنة ،  
 ولكن ذلك لم يقف بسبيل ربة الحكمة مِينرْفا ،  
 التي خطرت الى الداخل كنسمة نادية من نعمات  
 الصباح ، ووقفت لدى رأس ابنة الملك تزخرف لها  
 هذا الحلم الفضي الجميل ، وكأنما تبدو لها في المنام في  
 صورة صديقتها وأعز أربابها ابنة ديماس الكريم :  
 « نوزيكا ! يا ويح لك أيها النؤوم المكسال !  
 أهكذا تهملين ملابسك وأنت موشكة أن تُرْفَى إلى  
 عروسك ، ورواء حاشيتك وسائر وصيفانك ؛ كما  
 يتوقف عليها زهو أبويك بين الناس . انهضى مع  
 الفَلَق<sup>(١)</sup> فاذهي بمطارفك إلى المغتسل عند ضفة  
 النهر فاغسلها وأعديها ليوم زفافك ، يوم تودعين  
 صَراَح هذا الشباب الخالي ... هلمى ! إني سأعالونك ،

(١) الفلق أول ضياء الصبح



## الأولاد نيسر لهرميرس

بقتل الأستاذ دريني خشبة

مقدمة ما تقدم

لم يعد أوديسيوس البطل اليوناني فيمن عاد إلى  
 بلاده بعد حرب طروادة ، لأن نبتيون إله البحار  
 كان عدواً للوداء له فشرده في البحر — وكانت  
 زوجة البطل من أجل نساء البلاد فطمع فيها الطامعون  
 كل يريد لها زوجة له . غاصروا منزل أوديسيوس  
 ليرغموها على التزوج من أحدهم . وقد ثارت مِينرْفا  
 ربة الحكمة لهذا فبدت للفتى تليماك بن أوديسيوس في  
 صورة آدمية وجمعت تحرضه على البحث عن أبيه ،  
 فزار لهذا الغرض ملكي بيلوس وأسبارطه ، صديق  
 أبيه ، فأكرما وفادته ، وأخبره الأخير عما علم من  
 أخبار أوديسيوس . وروع العشاق لما علموا ما كان  
 من سفر تليماك فتربصوا له عند إحدى الجزر ليقنطروه  
 في العودة . أما أوديسيوس فقد انتهى به المطاف في  
 البحر إلى جزيرة سحيفة تسكنها إحدى عرائس الماء  
 ( كاليبسو ) التي هويته وشغفها حبه فاحتجزته  
 عندها حتى أرسل كبير الآلهة ولده ( هرمنز ) بالحاح  
 من مِينرْفا بأمر عروس الماء أن تعد مركباً  
 لأوديسيوس يعود عليه إلى بلاده . وأبحر المسكين  
 وما زال الموج يلعب به حتى كاد يفرقه نبتيون عند  
 شاطئ جزيرة ملوك البحار — ولكنه نجا ونام  
 منهوكاً في غابة فون السفح »

المطارف ونشرها فوق حصباء الشاطئ، الذى طمه  
الدونضحه الجزر، واغتسلن بعد ذلك وتضمعن،  
وجلسن على شفا النهر يتبلسغن بلبقات، ثم نهضن  
فتلاعبن بالأكر، وتغننت ابنة الملك أعذب الأغاني،  
وتثنت كما تثنى ديانا فى شفاف الجبال وفى يدها  
القوس والترس، وتصيد الخنازير فى أربعات  
— ومن حولها ربرب من عذارى الآلهة، وابنة  
لانونا تنبه<sup>(١)</sup> عليهن وتدل... كذا كانت تميز  
ابنة الملك، فيكشف لآلؤها جمال الأخريات

وهنا... شامت مينرفا أن يهب أوديسيوس  
من نومه، لينهده الغيداء الهيفاء التى كُتب فى  
الأزل أن تقوده إلى المدينة؛ ففما كانت توزيكا  
تضرب الكرة لتلقفها إحدى وصيفاتها، إذا هى  
تملو وتملو، ثم تدوم كما يدوم الطائر، وتهوى  
فى العباب المصطخب وسط النهر...

وصرخ العذارى صرخة داوية، فانتفض  
أوديسيوس وهب مذعوراً مشدوهاً ليرى هذا  
المنظر العجيب!

« ويحى! أئى بنى المولى قُطَّانُ هنا؟ ليت  
شمري أشوس<sup>(٢)</sup> عراييد أم أكرام أجويد! أوه!  
إنهن عرائس ماء تفرعن فرجعت الغيران أصداء  
صراخهن، وتراقص الحباب فى العباب من  
جَرمهن، وتثنى السكلا نشوة فى الوادى! لأداف  
نحوهن فأرى إليهن... »

وخطر من دَغِيَابَتِهِ<sup>(٣)</sup> خطر ان الأسد  
هاجبه الماصفة، فانقدت فى عينيه جرتان من  
غضب، أو ظمى فاشتدت غلته إلى الدماء...  
وذال<sup>(٣)</sup> نحو العذارى، فما إن رأته حتى تفرعن

أنت ياساحرة ألباب شباب الفيأشيين! سلى  
أباك يرسل إليك عربية وبغلاً تحمل ثيابك ومطارفك  
إلى عُدوةِ النهر حيث لا شاهد ولا رقيب... »

وانفتحت مينرفا ذات العينين الزبرجديتين،  
ورقت أسباب السماء حتى كانت فوق ذروة  
أولب... حيث السكون والهدوء والصمت،  
وحيث مستقر الآلهة، وحيث لا تعصف ريح  
ولا تتابد سحاب ولا تدمع عين مطر... وحيث  
السماء لازوردية صافية إلى الأبد

\*\*\*

وخطرت أورورا فوق عرش المشرق، وأرسلت  
من لدنها أميناً من رسل النور يداعب جَفَنِي  
نوزيكا، فهبت وحملها الجميل لما يفتأ يساور رأسها  
الصغير، وهزعت من فورها تبحث عن أبويها  
تقص عليهما أنباء ما رأت. وقد أُلْقَتْ أمها لدى  
المدفأ مكبة على غزل من صوف أرجوانى موثى  
بصبغ بحرى، ومن حولها وصيفات يساعدها...  
ثم لقيت أباه يكاد يذهب ليرأس مجلس شيوخ  
الملكة، فاستوقفته، وكلمته فى العربية، واحتجت  
بملايس إخوتها الخمسة الذين يستحيون أن يراقصوا  
العذارى فى الحفلات بملايس لاتبلىق بأبناء الملوك...  
وعقد الخجل لسانها فلم تذكر مطارف زواجها  
وشغوف زفافها... ولم يبخل أبوها بما طلبت، بل  
أمر لها بعربة كبيرة عتيقة ودواب، وزودتها أمها  
بأثريات وآكال وطيوب ومراوخ<sup>(١)</sup>

واستوت مع وصيفاتها فى العربية، وساطت  
البغال فانطلقت تطوى الرحب إلى النهر حيث  
وقفت عند منمرج يترقرق فيه بلور الماء، متدفقا  
من نبع قريب. ومرحت الدواب لترعى العشب  
الحلو النامى على حفافى الماء، ثم أخذن فى غسل

(١) ما يمسح به الجسم من دهن أو طيب أو غيرها

(١) هى ديانا

(٢) الدغيلة والدغل الشجر المتن

(٣) ذال ودأل مثنى فى خفة ونشاط

إلى مدينتها ، وتسبغ على — أسبغت عليها الآلهة كل ما تتمنى من هداية وبُلهنية وقران قوى العرى لا تتناول إليه أعين الأعداء — دثاراً يسترسو — ؟ » وأجابته نوزيكا : « حباً أيها الغريب النازح

وكرامة ! إن سيماك تدل على نبيل ، وسمتلك بنى عن رفعة ! اصطبِر على ما ابتلاك به سيد الآلهة الذى بيده العزة ، يشقى من يشاء ، ويهب لمن يشاء . سأدلك إلى المدينة ، مدينة الفياشين ملوك البحر ، التى أنا ابنة ملكها العظيم ألكينوس ، رب نعماتها ومصدر رخائها » وأومات الى وصيفاتها وهى تقول : « مكانكن يا عذارى ! فيم فراركن هكذا من إنسى كريم ؟ لقد أبت الآلهة أن تطأ قدم عدو أرض أحبائها ، بلادنا المقدسة ، التى انعزات فى لجج هذا الخضم عن كل العالم . إنه غريب يا عذارى ، جواب آفاق ، قذفه البحر الى شاطئنا ، فرحباً به ضيفاً من لدن زيوس ، وأهلاً بوفادته وسهلاً ... هلم إذن يا صويحبات فقدمن له طعاماً وشراباً ، ثم هيئن له حماماً فى منمرج ظليل عند حفافى النهر »

وأهرع البنات فقَدن أوديسيوس الى منمرج ذى ظلال وأفياء ، وأعددن له ثوباً وكساء ، وهيان طيوباً يتضمخ بها إذا فرغ من حمامه ، وسألن أن يذهبن بعبداً حتى لا يبتري أمامهن ، إذ « ... لشد ما ينجحنى أن أبداً عارياً أمام الحرِّ الحفريات ! » ... وسهادين إلى مولائهن يحدثنها بما قال : بينا هو قد انقذف فى الماء يغسل كاهله وحقوقه مما جمد عليهما من ملح اللجة ، وسعد فتضمخ بالطيب الثمين ، ثم أسبغ على بدنه المتيد ذلك الكساء الذى منحته إياه نوزيكا ، ومن أعجب العجب أن ميثراً نفسها كانت تعاونه فى تجميل خلقه ، وتزبل من شعره الكث

وَوَلَّين مذعورات فى الشاطئ ذى النوى ... إلا نوزيكا ! فقد نفخت فيها ميثراً من روحها ، ونزعت من فرائصها رجفة الخوف ، فوقفت شماء الأنف تنتظر القادم ...

وارتبك أوديسوس ولم يدر ماذا يصنع ؟ أيجئو تحت قدميها يتوسل ويتضرع ، أم يقف عن كسب يستمطف ، ويسأل الفتاة دثاراً ، ويرجوها أن تهديه إلى المدينة ! وآثر الثانية فتلاطف ، ثم قال :

« عَمَّرك الله أيتها الملكة ! أربّة من الخالدات ، أم حسناء من بنى البشر ؟ أضرع إليك أن تجيبي ! فانك إن كنت ربة ، فما إخلالك لإديانا ، ابنة سيد الأولب ! ولم لا ؟ ولك قسامتها ووسامتها وقدما المشوق ، وحسنا السوى ، وجمالها الروى ! أما إن كنت من بنات حواء ، فما أسعد آلك بك ، واشد ما يزهون بجمالك ! كلما خطرت فى ملمب ، أو بدحت<sup>(١)</sup> فى مرتع ... ثم ما أسعد الزوج الذى سيحظى بكل ذلك الجمال ، لا يضارعه فى العالم جمال ! ! ألا ما أروع ما تبقيين كالخلة اليانعة فى ديلوس ، عند مذيح أبولو ، أيتها الأميرة ! ! ألا كم أتمنى أن أتم قدميك ، لولا ما ينتابنى من روع ، وبؤودنى من فزع — أنا — ذلك المعضنى المحزون المشجون ! — أنا — ذلك العبي الموهون الذى أفلت من يد المذنون أمس ، كشر له عن نابه فى ذلك البحر اللجى ، بمد سفره عشرين يوماً من جزيرة أوجيچيا ، وسط أنواء ولأواء ، وموج كالجبال حتى شادت العناية أن تطرحنى بشطآنكم الحبيبة ! ولست أدري ما خبأت لى المقادير بعد ! ولكن ، هل ترى مليكى من أجلى ، وهى أول من لقيت فى هذه الأرض بمد طول عنائى ، فترشدنى

كالأعلام - والذي أخشاه أن يرانا الناس ثمة  
فيسهزئوا بنا ، وقد يسلفوني بالسنة حداد ، قائلين في  
سفاهة وتندر : ترى ؟ من يكون هذا الغريب النجيب  
المهرقلى الذى يقص أثر الأميرة ابنة الملك ؟ أى  
صدفة جمعت شملهما يا ترى ؟ سرعان ما نراها  
تزف اليه عرساً كاعبا ... قد يكون ضيفا غير محمود  
من أرض نائية ؛ أو ربما صادت بصلواتها وتسبيحها  
واحداً من الآلهة أبقي من السماء ليقر في حضنها  
الى الأبد ... الحمد لله الذى من عليها بزواج سعيد  
من بلاد غريبة يشبع أمانيتها الجائعة بمد أن  
رفضت الأبدى الكثيرة التى تقدمت اليها من  
أبناء الفياشين ... هكذا سيقول الناس إن رأونا  
أيها الرجل ، ولهم الحق ، فأنا نفسى لا أعنى من اللائمة  
فتاة عذراء تسبىح أن تمنى مكشوفة مع رجل  
غريب قبيل عرسها ... ولكن اصنع إلى : إنك  
واصل حتما إلى أبى إذا اتبعت نصيحتى .. بعد قليل  
سيصل ركبتنا الى حرج أشجار الحور المقدس  
النائم في تخوم الطريق باسم ربة العدالة والحكمة  
مينرفا ... وإن عنده لنبعا يترقرق وسط كلاً  
وأعشاب ... وإن عنده لحديقة أبى ، الجنة  
الضحوك المثنائى ! قف ثمة حتى إذا دخلنا نحن  
المدينة وحصاننا فى بيت أبى ، فتقدم أنت وادخل  
المدينة واسأل أيا من الناس ، ولو طفلاً يافعاً ، عن  
قصر الكينوس الملك ، أبى الحبيب ، فإنه معروف  
مشهور لا يضارعه منزل آخر فى سمته وأهنته ؛  
فاذا دخلته فلا تتوان لحظة ، بل سر قدماً حتى  
تلقى أمى جالسة لدى الوقد المتأجج بجانب عمود  
مرمرى مكبة على غزلها الصوفى الوشى بأصباغ  
البحر ، ومن حولها وصيفاتها يماونها فى أنجازها -  
وقريباً منها ترى أبى مستوياً على عرشه بطم  
ويشرب كأحد آلهة الأولب ... لا تكلمه ...

الأشعث تلبداته التى كانت تبدو كأنها أزهار  
الخزامى ... ثم هى بعد كل ذلك تضى عليه أمواها  
من البهاء تظلل بها صدره ، كأنما هى قناع  
الصناع يعمل حلية من فضة وذهب ، وجلس على  
الشاطيء فى رونق وروعة ، حتى إذا لمحته الأميرة  
المندراء أذهلها جماله ، وقالت لوصيفاتها : « نالته  
يا صويحيات لقد شككت فى حال هذا الرجل  
أول الأمر ، ولقد حزنه ألقاً من راع الناس ،  
لولا أننى أتت أن الآلهة لا تسوق الى بلادها الحبيبة  
هذا الصنف من البشر ... أما هو الآن ، فاشد  
ما يشبه أرباب السماء : أواه ! لوددت أن يكون لى  
زوج فى بهائه وحسن سمته ، على أن نبقي آخر  
الدهر معنا ... هلم يا وصيفات ... قدمن له طعاماً وخرأ »  
ومد دن أمامه سماطاً كبيراً ، وزودته بأحسن  
الأشربات والآكال ؛ وأخذ أوديسيوس فى أكلته  
حيياً متأدياً ، يرد عنه تلك المسغبة الطويلة التى  
أسهكنه وأوهت قوته

ووضعت أحمال المطارف والثلثاب فوق العربة ،  
وشدت البغال ، واستوت الأميرة فى مكانها ، ثم  
هتفت بأوديسيوس فقالت له : « هلم أيها النازح  
الغريب ! إلى المدينة إذن ! إني سأرشدك إلى  
قصر أبى ، حيث تلقاه فى جمع من أشرف الفياشين  
وسنطلق وسط هذه الحقول ، وإن لى معك من  
أجل هذا السكامة ... لقد بنيت مدينتنا فوق  
صخرة راسية ، وأحاط بها سور عظيم ، ثم وصل  
بينها وبين قُروضها جسر ضيق تفر على جانبيه  
سفائنا ، رابضة متراسة ؛ ثم ينهض عندها مبد  
نيبيون العظم ، وبجوار مسوق المدينة المبني من الحجر  
الصلد ، حيث تباع حبال السفن وشراؤها ، وحيث  
تصنع مجاذيفها وأكثر عتادها - لأن الفياشين  
لا يمنون بشئ عنياتهم بهذه المنشآت فى البحر

# سِرُّ ابْنِ الْهَوْلِ

مسرحة شعرية في أربعة فصول

لكاتبها الفرسى مرسى رستان

بقتل الأستاذ خليل هندوى

وأفسى قلباً ! إلى ! فان  
وجهك - تحت شعاعى  
الذى يواريه ظلاك - يشبه  
وجه أوديب ، فكأن حذراً  
باريس - أنا مثله حاشاً !  
لا أخشاك !  
أبو الهول - أدن  
يا مارساليوس !  
مارساليوس - أجد  
بعض التأثير على قلبى

أبو الهول - ألهذا السر جئنا !  
مارساليوس - وهو الذى جئنا العناء  
أبو الهول - ( ويراه الأحدث سنأ ، فينفث إليه  
براقة )  
إنك تشبه قيصر الصغير ، إنه ظل ذهب ولم يعد  
باريس - لم نأت لهذا ، يجب ألا نحوم حول  
الهوة التى تريد القاءنا فيها . إن صوتك تارة يتباعد  
وتارة يصبح بشرى اللجة . إننا لم نأت لهذا ،

أبو الهول - سلتى إذا عما تطالب ! أنا مصنع  
إليك !  
باريس - تريد أن تعلمنا سرى ! وهو أكبر  
الأسرار فى هذا الطريق ، وهو السر الوحيد فى  
هذا الوجود  
أبو الهول - لقد قلت لكما ...  
باريس - يجب أن تنبئنا ...  
أبو الهول - كنت إخلالك أكثر شجاعة

يناجى ابنة جوف ، المدرعة بايجيس  
وهنا . . . وقف أوديسيوس يصلى لمينرفا :  
« يا ابنة جوف القوى المتعالى اسمى لى ! أضحى  
الآن ياردة ! لقد تصاممت عنى إذ كانت اللجج  
تلقفنى فراعينى الآن ! اجعل لى صرفقاً فى أمرى ،  
وهى لى محبة ورحمة من قلوب أبناء الفياشين  
أنسى بها آلامى . . ( آمين آمين : )  
ولبت ربة الحكمة واستجاب لدعائه . بيد  
أنها احتراماً لعمها ( نيتيون ) الذى لا يفتأ يقتنى  
أثر أوديسيوس ، عدوه الأكبر لم تشأ أن تبدوله  
( يتبع )  
دربى ضربه

بل جاوزة الى أى الرؤوم ثم سئل حاجتك تقضها  
لك ، وتعدك الى وطنك مهما كان سحيقاً نائياً ..  
أثر فى سميعها عامل الخير والمحبة ، تردك الى آلك  
وذوبك وبلادك .. وسلام عليك »  
ثم إنها ألهمت ظهور البغال فانطلقت تمردو  
مولية عن النهر الذى صار يبتعد قليلاً قليلاً ..  
وكانت نوزبكا آخذة بزمامها لتكبح من جاحها ،  
حتى لا تفوت أوديسيوس من ورائها  
وكانت الشمس تصبغ بالورس جبين المغرب  
حينما وصل الركب الى حرش مينرفا المقدس ، الذى  
نهض حوره الباسق فى السماء نضراً ملتفاً كأنما

أبو الهول — تقول : جريمة ! دون أن تعرف  
أى سر أداريه فى أتواي !

باريس — كلما أعمنت فى الفرار منى زدت عزماً !  
لا سر يمت الروح المنيرة ! النزوح ! أريد  
— منك — بياناً أيتها الشعلة التى تهافت على نارها  
فراشات كثيرة

أبو الهول — أيتها الطالاب الغرق فى سبلى !  
هل نظرت — أية درجة باع الشحوب فى وجهي ؟  
تعال وانظر إلى أشعة القمر وانهم ! فالسر الذى  
أكتنمه هل يخلق هذه الذشوة التى تودع فى هذا  
الشحوب الذى يزيد تفكيره وتأمله كلما زاد تأمله .  
تعال انظر على شمع نارك الداهلة ، أريد دائماً  
أن تعرف الأشياء التى أعرفها ؟ هل تريد دائماً أن  
تفرق فى روى الباعثة على الروع ؟ هل تريد  
الحقيقة الأكثر بأساً ؟

نعم ! هل تريدها دائماً يا باريس ؟ بعدما رأيتنى  
وعلمت أنى أكثر الكائنات بأساً لأنى أكثرها  
خلوداً !

باريس — نعم : أريدها

مارسلليوس — نعم : تريدها ، تريدها

أبو الهول — مع كل ذلك ؟

الاثنان — مع كل ذلك

أبو الهول — لا شىء يستطيع أن يحيا بعد  
معرفة لغزى ! لا يستطيع ..

الاثنان — تكلم !

باريس — أريد ذلك

مارسلليوس — أريد أيضاً

أبو الهول — لا أستطيع أن أجيبكما معاً !

مارسلليوس — ماذا تقول ؟

وأنت تدري أننا لا نحفل بشأن الملوك الفانين ،  
والآلهة الغابرين ... نريد سر هذا الكون البعيد .  
أنت تعرفه ؟ فقل لنا !

أبو الهول — وإذا ...

باريس — قل لنا على أى حال !

أبو الهول — ( بعد لى ) لا ...

باريس — هذه كل تلك الأخيرة ؟

أبو الهول — ما أجل هذا التحدى ؟ وإذا  
كان توقى عن الكلام ..

باريس — كفالك ..

أبو الهول — وإذا كان من حسنة العالم بالغيب  
أن يبق ساكناً ! وإذا كان التراب سيواربكم غداً  
فماذا تعيشون ؟ وإذا كان سمى ما تعطيه رحمتى  
باريس — كفالك كذبا ومهتاناً !

أبو الهول — وإذا كان سكونى فى الليل أكبر  
ما يمنحه قلبى الهادىء ؟ وإذا كانت الحياة الخالية  
من المعرفة خير وسيلة ..

باريس — ( بدهول )

كيف تستطيع أن تعرف قلوبك كقاي . يمكننى  
أن أحتمل كل شىء !

أبو الهول — إنك تظن ذلك أيها البطل !  
« هات » كان يقاب جمجمة فى المقبرة بكفه ولكنه  
كان لا يدري الكلمة النهائية حين كان يقاب !  
ربما كان فى الشك سعادة : فاحفظ ذلك وامض  
لطيفتك !

باريس — لا أريد أن أبرح المكان !

أبو الهول — يا للضحجة التاعسة ! ولكنى  
سأصمت ..

باريس — صمتك جريمة

إلهي ! إن قلبي يدق سريماً ، والصحراء  
— يحيل إلى — أنها زادت آماداً ... إني أقدم  
عليك يا أبا الهول ، وروحي المتيقظة الآن تصمد  
إليك أيها النور العجيب ! أرق إليك ... أقبل  
عليك ... وأسمعك ...

( رقى مارسليوس إليه ، وكان الليل شاملاً . . .  
ينحني على فمه ليقول له السر ، وباريس يتأمل جميع حركات  
هذا الغفيف من الخلود والفناء ، مارسليوس يهني ، وتراه  
يصغر لونه تحت ضوء القمر ، ثم تنطبق عيناه وتنخلد قواه  
كمن أصيب بصاعقة )

باريس — ( ملقياً بنفسه على جثة أخيه )  
النجدة ! النجدة ! مارسليوس ! ليس هذا  
بحقيقة . أخي لا تغلق هكذا جفنيك ! كلني . . .  
أجبنني ! ها أنا بباريس يناديك يا كيا ...

( يفكر فجأة أمام الجنة في الكلمات اللاتينية التي كان  
يلفظها الفم الحى ويردها )  
إنك ستغدو كمارسليوس !  
( بألم وبكاء )

هل جئت بك من إيطاليا إلى الصحراء ، إلى  
الموت ، إلى السكابة ؟  
ألا تنفس قليلاً وأجبنني خلاك ذم ! إنني محبك !  
أبو الهول — لقد مات إلى الأبد ! أجل !  
مات إلى الأبد !

( الليل قائم الأحشاء ولا نجمة في السماء . أبو الهول  
وحده يسمع أنين الباكي )

إنه هجر هذه الأرض ، حيث يهوى كل  
شيء ، هذه الأرض حيث نطأ تراب قبورنا .  
انظر إلى السماء التي لا تحد ؛ إن في منتصف هذه  
الليلة آلاف الكواكب المروعة كانت ترتجف  
كأنها عيون متطلعة على مصائبنا . إنها كلمة ؛ بل  
كلمة بسيطة رُجِّمت في الليل ، وهذه الظلمة

أبو الهول — انتخبنا أحداً !  
مارسليوس — باريس ..  
أبو الهول — ( بعد صمت طويل )  
مارسليوس !  
مارسليوس — أخي ! لقد اصطفاني الآله  
الحجري ...

باريس — ستقول لي ما يحدث بك  
مارسليوس — ولماذا هذا الالتقاء الغريب  
الذي آثرته ؟

أبو الهول — في اللحظة التي ستعرف فيها هل  
تضطرب أحياناً ؟  
مارسليوس — لا أحد منا يخشى ! إن هناك  
ظماً شديداً !

باريس — اذهب وليبدأ ! امض يا أخي  
المحبوب ! يا قطعة من قدرى ! يا خفقة مضطربة من  
صباحي ! اذهب واقتطف الحقيقة . . . هي لنفسى  
أيضاً ... الحقيقة

مارسليوس — ( يذهول وغبطة )  
يا أخي ، يا قطعة من ذهب ونار ! أليس قلبي  
قلبك ؟ إنني في طريق المعرفة ... يا النساء البهي !  
إن هذا يكفر عن المشقة التي تحملناها . سأعرف  
السكامة ، كلمة العلم الانساني

أخي ! يُشبه لي أنت كوكباً جديداً سطع  
في دمي

سأعلم كل الحقائق العميقة ، فقبلني قبلة عميقة  
عنيفة يا أخي الأوحاد ! إن رعشة عميقة تتمشى  
فوق ذوائب النخيل . . . لقد كنت على حق  
يوم هجرتُ مصنني وحبيبتى ، وروما وفنوني  
ولياالي الحب  
( يرقى ويثقف على أبي الهول )

انتشرت سدولها في كل مكان . لأن السر الأعظم  
الذي أواريه تحت نقابي يميت القلوب ، ويطغى  
النجوم

باريس — لتسمعى سماء خامدة النور !

أبو الهول — لن يصعد شهيقك إلى السماء !

باريس — اصمت ! اصمت أيها المارد المرعب ؟

أبو الهول — لقد بدلت لهجتك ...

باريس — لهذا الأمر أعجبك هذا الفتى ...

أبو الهول — كل من أفشيت لهم سرى

الحقيق هلكوا دون أن يفوهوا بلفظة ... وهذا  
واحد منهم

باريس — اصمت ...

أبو الهول — ليس في هذا المنظر شيء عندي !

واقعد أضحك أمام ميت !

باريس — وميتان يزيدان إعجابك ، إذا لامرية

فيه ، لأنك ستكلمنى بدورى ! بهذا الجسد المتمزق

وهاتين العيينتين الهامدتين ألا ما تكلمت وحدتني !

لأننى مصر على ذلك . فان قلبه الهالك لأكثر

معرفة من فؤادى الحى . وعيناه الغمضتان المحدثتان

قد ملأتهما اللانهاية

( يرقى باريس إلى التمثال كما صنع مارسيلوس ، وفي

هذه اللحظة تنأية إيزابيلا ونصعد برداء أبيض شفاف )

### المشهد الرابع

باريس ، مارسيلوس (طريحا على قدمي أبي الهول ) ،

أبو الهول ، إيزابيلا

إيزابيلا — ( بصيحة شديدة )

باريس ! لا تصغ إليه !

باريس — إيزابيلا !

إيزابيلا — حنانينك ! لقد وجدت آثارك

على الرمال المتقلبة !

لقد هلك مارسيلوس — أتريد رجلاً آخر

يهلك بعده ؟

تعالى إلى ! وفر من هذا المكان الذى يهيم

عليه الموت ، واهرب من هذا السر القاتل ! وانج

من هذا الموت الذى يخرج من قلبه ... إلى

ساحل إليك الفرار — يا حبيبى باريس !

أبو الهول — ( بصوت ليس أعذب )

إنه ان يصنى إليك وان يسمع نجواك ! هولى ،

ولا شيء . يستطيع أن يستنقذه منى

إيزابيلا — ألم أكن جميلة بمقدار ؟ ألم أكن

رفيقة وحنونا ؟

باريس — ( مبتعداً عن أبي الهول قليلا قليلا )

إيزابيلا !

أبو الهول — أما تشاء أن تعرف سرى ؟

أغلب عليك الوجلى ؟ أراك أصبحت صاحب اللون

باهت الوجه ! لقد رن صوت ملتهب هادما السحر

الذى يربط قلوبنا ... اذهب أيها الهيوب الخائى

ميتة مثل ميتة أخيه

باريس — ( إيزابيلا تتعلق به )

لا لا ! دعبنى ...

إيزابيلا — باريس

باريس — أود أن أعلم ...

أبو الهول — إذذهب أيها الهالك ، واضرب

لعشيقتك موعدا فى مساء

إيزابيلا — لدى من القبلات الحية التى تبعثها

المحبة الملهبة !

أبو الهول — ولى — فى الليل — صوتى

الرنان ذو الأسرار

( صاحب اللون ، كأنه يرتقب أجله . لكنه فجأة يفهم أنه لا يزال حياً ، وبصيغة الظفر ) :

إني أحيا ...

أبو الهول — ( بتعجب )

ولماذا لم تمت ؟ وبأى حق تظل في الحياة ؟

باريس — أنا حي ...

أبو الهول — لا يعيش من يعرف سرى !

باريس — أنا حي ...

أبو الهول — أنت حيا عارفاً الكلمة التي تهتر

لها قتي ؟ لا يقدر أحد على ذلك !

باريس — أنا أول من يقدر !

أبو الهول — لن تقدر ! وما قدر أحد على

ذلك . الكل يجهلون سرى ...

باريس — عرفت سرى ولا أزال أحيا ...

نعم ! لا أزال أنفـس وأحيا ! وأنت أيها الحبيب

الضعيف العزم لأنك لم تستطع أن تطبق عينيك

على السر ! يارفيق صباي ، ثم هادئاً قرر النفس !

إني سأنجـز وعدى ، وسأعود الى ابداعي الأول ،

فالمـل وحده يذهـل عن الألم الكبير . ومن أجـلك

أيها الوجه الشاحب ، سأجـمل جوابي على سر

الموت قطعة تتدفق فيها الحياة . وهكذا تظل حياً

في آثاري وابتسكاري ..

( يقترب من جثة مارسيللوس ويرفـة زائدة وحنان

عميق مؤثر حمله وألقت إيزابيلا موشحها على وجهه الشاحب

وقبل أن يبتعد أجـهش بالبكاء وودع أبا الهول ) :

— وداعاً

( باريس يتوارى وخلفه إيزابيلا ، وبعد لحظة يظهر

أبو الهول ، يقهقه ضاحكاً قائلاً بنفسه ) :

— لم أقل الحقيقة إلا لمارسيللوس !

الستار

فـليل هنـدراوى

إيزابيلا — اذكر سمادتك ، والأيام التي قضيتها في حي !

أبو الهول — إني أعرف قبلة لا تنتهي أبداً

باريس — لا لا ... أريد أن أعلم !

( يعود الى أبي الهول )

إيزابيلا — ( متوسلة الى أبي الهول )

آه يا ملك الرمال ! كن أكثر إشفافاً على منه .

ألا تبصر — إزامك — امرأة تبقى البقاء طيلة هذا

الخلود الشاع البارد ! لا أملك إلا هذه اللحظة

الانسانية التي تصرمنى ... فالقرون — لديك —

تتراكم تائهة حائرة . يغشى فريق ويمود فريق !

أفـن هذه القرون إذا كان فك الخلد لا يمنع إلا

الموت للحب الذي يناديه !

أما هذا فلا تذوقه الردى — إنك إن تفعل

تقض على معه غداً — لا أملك من الزمان إلا عمر

حبه ، هو إيمانى الذى أعتقد ، وحياتى ، وكوكبي

الصاعد ، الحياة خالية إلا به ... إنك إن تقتله ...

أبو الهول — ( لباريس )

اصمد ...

إيزابيلا — إنك لن تمنع هذه العين التي

أعبدها !

إنك

أبو الهول — لقد كنت أتردد فى أمرى ...

قد انتهى كل شيء ... سأكلـك !

( يرقى باريس كمارسيللوس ويودعه سره )

باريس — ( وهو يسمع كلماته )

إنى أسمع ... أسمع ... وبعـد . وبعـد . وبعـد !

( عاد الى إيزابيلا الشاحبة ، وهو يكاد يسقط على الأرض

كمارسيللوس )

إلى أهى ... إنى مانت لا محالة !